سيد قطب
بين مؤيديه ومعارضيه

من هو سيد قطب ..؟ :

يتطلب الأمر هنا إعطاء نبذة عن حياة الأستاذ الشهيد سيد قطب باعتباره موضوع الدراسة وهي حياة حافلة بالعطاء المتدفق. سواء الأدبي أو الصحفي أو الإسلامي. ونقول بعون الله تعالي :-

هو سيد بن قطب بن إبراهيم – ولد سنة 1906م (نفس العام الذي ولد فيه الإمام الشهيد حسن البنا) بقرية (موشي) بمحافظة أسيوط. من عائلة موسرة نسبياً. كان والده رجلاً متديناً ووالدته. كذلك كان له أخ أصغر منه هو محمد. وثلاث أخوات هن : نفيسة. أمينة. وحميدة . تخرج من كلية دار العلوم. وهي نفس الكلية التي تخرج منها الإمام حسن البنا. سافر في أغسطس عام 1948 إلي الولايات المتحدة الأمريكية لدراسة المناهج التعليمية هناك. واستمر بها عامين حيث عاد في أغسطس عام 1950م .

انضم إلي جماعة الإخوان المسلمين عام 1951. تولي رئاسة تحرير جريدة الإخوان. اعتقل مع آلاف الإخوان عام 1954 وحكم عليه بالسجن 15 عاماً بالأشغال الشاقة قضي منها عشر سنوات معظمها في مستشفي ليمان طره. حيث كان مريضاً بعدة أمراض مزمنة ومستعصية. وأفرج عنه عام 1964م. وأعيد اعتقاله في أغسطس عام 1965. بتهمة قلب نظام الحكم وحكم عليه يوم 1966/8/22م بالإعدام شنقاً ونفذ الحكم بعدها بسبعة أيام . س

له كتب عديدة في موضوعات مختلفة : أدبية. تربوية. اقتصادية. اجتماعية. وسياسية. وأكثرها شهرة الكتب الإسلامية. خاصة " في ظلال القرآن " ومعالم في الطريق. وخصائص التصور الإسلامي. ومقومات التصور الإسلامي وهو آخر ما كتبه في حياته. منه فصلين كتبهما في السجن الحربي. كما ذكر شقيقه الأستاذ محمد في المقدمة . وهي تزيد علي الخمسين كتاباً خلاف المقالات التي نشرت في الصحف والمجلات الأدبية .

فوالد سيد قطب عميد الأسرة وكبيرها. ووجيهاً مكرماً في القرية. ينظر أهله له بإكرام واحترام وإجلال. ووالدته كذلك من عائلة مرموقة. وقد جمعت أسرته بين الوجاهة الاجتماعية والرقي العلمي. وكان سيد الطفل يري المظاهر الاجتماعية والدينية والسياسية في الأسرة فيتأثر بها وتنطبع في ذاكرته . وقد دخل سيد المدرسة عام 1912 وعمره السادسة. وبدأ حفظ القرآن وهو في الصف الثاني الابتدائي وعمره لم يتجاوز الثامنة وأتم حفظه بإتقان وعمره عشر سنوات. وأنهي الدراسة الابتدائية وعمره اثني عشر سنة وتخرج منها عام 1918 . وقد نشأ علي محبة المطالعة والقراءة والتزود من المعرفة والثقافة .

سيد قطب ودراسته في القاهرة :

قررا والدا سيد سفره للقاهرة لإكمال دراسته الثانوية والجامعية. وكان يقيم مع خاله. وقد سافر للقاهرة عام 1920. وقد التحق بكلية دار العلوم عام 1929 ودرس بها أربع سنوات وتخرج منها عام 1933 .عُين مُدرساً في وزارة المعارف. وتنقل في عدة مدارس. حتى نقل إلي وزارة المعارف في 1940/3/1.

سافر إلي أمريكا في مهمة علمية للتخصص في التربية وأصول المناهج عام 1948، وبقي في أمريكا حتى عاد في 1951/10/22، وتنقل في عدة وظائف حتى استقال من الوزارة في 1952/10/18. هذا وقد ظل في الوظائف الحكومية حوالي تسعة عشر سنة. واضطر لتقديم الاستقالة. عندما لم يعد يتحمل المزيد من المكائد والدسائس والمضايقات . وبعد عودته من أمريكا عام 1951، كان يكتب في الصحف والمجلات. واستمرت كتابته. حتى قرر مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين إصدار صحيفة باسم الجماعة. وأسند رئاسة تحريرها إلي سيد قطب. حتى قرر مكتب الإرشاد إغلاقها بسبب تفاقم الخلاف بين الإخوان والثورة . ولما توجه سيد للفكر الإسلامي. خاض معارك أدبية ونقدية مع عدد من الأدباء مثل : الرافعي. محمد مندور. صلاح ذهني. دريني خشبه ... وغيرهم .

سيد قطب وتوجهه الإسلامي :

لاشك أن جو الأسرة وتوجهها الإسلامي كان بداية التأثر في شخصيته. وشعر بضياعه وغربته أثناء الرحلة الأدبية وانتهت به لهذه الصلة بعودته إلي القرآن. وكان ذلك في أواخر عام 1939. بدءاً بنشر مقالتين بعنوان : " التصوير الفني في القرآن الكريم " بمجلة المقتطف. واستمر علي هذا الحال حتى عام 1944 حيث أصدر كتاباً بنفس العنوان. وأقبل علي القرآن يدرسه ويتذوق أسلوبه وبلاغته. وبعد عامين أصدر كتاب : " مشاهد القيامة في القرآن " وصدر له بعد ذلك كتاب " العدالة الاجتماعية في الإسلام " عام 1949 أثناء وجوده في أمريكا .. وتعمق فكره الإسلامي أثناء وجوده هناك. ولما عاد أصدر عدة كتب إسلامية كان قمتها بدء " في ظلال القرآن " عام 1952 .

انضمام سيد قطب للإخوان المسلمين :

لقد اقترب كثيراً من الإخوان بعد عودته من الولايات المتحدة الأمريكية. وقال عن ذلك : " لقد ولدت من جديد عام 1952 ". وانضم ذلك رسمياً عام 1953. وذكر ذلك كتابة منه وأهم عمل له هو رئاسة تحرير جريدة الإخوان المسلمين. بدءاً من 1954/5/20 إلي 1954/8/5. وتولي داخل الجماعة بعض الأعمال الدعوية والثقافية .

اعتقال سيد قطب :

اعتقل سيد قطب مرتين المرة الأولي في مقدمة الإخوان المعتقلين عام 1954. وبعد فترة قصيرة تم الإفراج عنه مع بقية الإخوان. أما الاعتقال الثاني فكان بعد مسرحية حادث المنشية في 1954/10/26، وحكم عليه بالسجن خمسة عشر عاماً مع الأشغال الشاقة. وأفرج عنه عام 1964. بناء علي وساطة الرئيس العراقي عبد السلام عارف. أما الاعتقال الثالث فكان عام 1965. الذي انتهي به إلي حبل

المشنقة . ومن المعلوم أن نشاط الإخوان كان قد توقف بعد محنة 1954. وقامت بعض المحاولات المتواضعة ولم تستمر. إلا أن المحاولة الهامة التي ارتبط بها وتولي قيادتها هي تنظيم 1965. الذي تأسس عام 1957 بين كل من الضابط المهندس أمين شاهين – رحمه الله تعالي – وأحمد عبد المجيد وعلي عشماوي من جهة. والشيخ عبد الفتاح إسماعيل التاجر والشيخ محمد فتحي رفاعي المدرس بالمعاهد الأزهرية من جهة أخري . تم دمجهما عام 1962. وانضم لهم بعد ذلك تنظيم الإسكندرية والبحيرة ومثله بقيادة التنظيم مجدي عبد العزيز متولي. وانضم كذلك صبري عرفة الكومى بدلا من الشيخ فتحي رفاعي الذي سافر للجزائر وكان الشهيد سيد قطب علي صلة بالتنظيم وهو بداخل السجن عن طريق شقيقته حميدة. فزينب الغزالي ثم إلي الشيخ عبد الفتاح. ويمد التنظيم بمذكرات وبحوث . ولما تم الإفراج عنه عام 1964، اتصل به أعضاء قيادة التنظيم وبعد مشاورات عرضوا عليه قيادته للتنظيم. وتم ذلك بعد مقابلته لفضيلة الأستاذ حسن الهضيبي. وأخذ الموافقة منه وانتظم العمل في التنظيم بقيادة الأستاذ سيد قطب. وبدأ يوجه أعضاء القيادة ويشرح لهم بعض الأمور الهامة. خاصة موضوع العقيدة يرجع لها من يريد في كتاب الإخوان وعبد الناصر .

صدور الأحكام :

في صباح يوم 1966/8/21 توجه المتهمون في القضية الأولي لسماع النطق بالأحكام في نفس مبني المحكمة بمبني قيادة الثورة بالجزيرة. وصدر الحكم علي أعضاء القيادة السبعة بالإعدام وفي مقدمتهم سيد قطب. وتم التخفيف علي أربعة منهم. وتم تنفيذ الحكم علي المتهمين الثلاثة الأولي هم : سيد قطب إبراهيم. محمد يوسف هواش. وعبد الفتاح إسماعيل. رحمهم الله جميعاً وتقبلهم من الشهداء. وكان ذلك يوم الاثنين 1966/8/29 .

د. محمد الجزار:
تفسير "الظلال "غيَّر حياتي
الشهيد سيد قطب قال لي: "الوصف بالجاهلية لا يعني الكفر"
أنصح الشباب بدراسة رسالة "التعاليم" للإمام حسن البنا

وأنا في الطريق إليه تذكرت ذلك الجيل الأول من الإخوان المسلمين.. الذين حملوا دعوة إيقاظ الأمة من غفلتها وعودتها إلى صحيح الدين، وضحُّوا في سبيل ذلك بالغالي والنفيس. ولعل له نصيب من حديث النبي العظيم محمد صلى الله عليه وسلم" إن الله يحب الأتقياء الأخفياء، الذين إذا غابوا لم يُفتقدوا، وإذا حضروا لم يُعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل فتنة عمياء مظلمة"، فكم هي المرات التي حاولت معه إجراء هذا الحوار، إلا أنه كان يأبى أن يطلع على جهاده غير الله.

إنه الدكتور محمد عبد المعطي إبراهيم الجزار من مواليد سنة 1937/2/18م قرية ميت بشار مركز منيا القمح بمحافظة الشرقية، حفظ القرآن الكريم في سن التاسعة في كُتَّاب القرية، وحصل على الشهادة الابتدائية سنة 1950م، من مدرسة الأقباط الابتدائية بميت بشار، وحصل على الثقافة العامة سنة 1954م، من مدرسة الألفي الثانوية بمنيا القمح، وحصل على التوجيهية قسم رياضة 1955م، وحصل على بكالوريوس العلوم جامعة القاهرة في 1960م، ثم عيِّن معيدًا في هيئة الطاقة الذرية في 1960/8/27م.

ثم حصل على الماجستير في كلية العلوم في 1964م في موضوع نظرية التفاعلات النووية، ثم اعتقل في 1965/8/20م مع قيادات وكوادر الإخوان المسلمين، ثم صدر الحكم عليه في 1966/8/20م بالأشغال الشاقة المؤبدة لمدة 25 سنة.

مكث في السجن الحربي بعد صدور الحكم حتى 1967/6/17م، وبعدها تمَّ ترحيله إلى سجن طرة حتى أُفرج عنه في عام 1975م.

بعد خروجه من السجن شارك مع إخوانه في إعادة بناء تنظيم الإخوان من جديد، وقام بتسجيل الدكتوراه في عام 1976م، وحصل عليها في عام 1980م، وتمَّ تعيينه بدرجة مدرس في هيئة الطاقة الذرية، ثم سافر إلى المملكة العربية السعودية في عام 1984م حتى 1998م.

*في البدايه.. كيف تعرفتم على جماعة الإخوان؟

**في سنة 1958م كنت أتردَّد على مكتبة الجامعة، فقابلني أحد الزملاء وسألني عما أقرأ، ولما أجبت بأنني أقرأ أي كتاب سألني، هل قرأت شيئًا في تفسير القرآن الكريم فلما أجبته بالنفي، دلني على كتاب "في ظلال القرآن" للأستاذ الشهيد سيد قطب؛ بحثت عن الكتاب فوجدت منه في أرشيف المكتبة خمسة أجزاء، فقرأتها وتأثرت بالكتاب جدًّا؛ حيث إنني علمت منه ما لم أكن أعلم عن هذا القرآن.

دور القرآن الكريم

*ما الشيء الذي تأثرت به في تفسير الظلال؟

**لم أكن أعرف قيمة القرآن الكريم؛ من حيث أنه كتابٌ أخرج به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هذه الأمةَ من جاهليتها إلى أن صارت أمة تُقيم هذا الدين في حياتها العقائدية، والاجتماعية، والسياسية، وفي كل أمورها الأخرى، ثم قامت هذه الأمة بواجبها تجاه هذا الدين فدعت غيرها من الأمم إلى هذا الدين العظيم.

لم أكن أعرف دور القرآن الكريم في نهضة الأمة الإسلامية، ولم أكن أتصور هذا الأمر إلا عندما قرأت مقدمة كتاب الظلال، فانبهرت بذلك فتحوَّلت من قارئ للقرآن إلى متدبِّر للقرآن.

ثم سألت عن الأستاذ سيد قطب فعرفت أنه مسجونٌ في قضية للإخوان المسلمين، وقتها لم أكن أعرف عن الإخوان المسلمين شيئًا.

وأثناء بحثي في كتب أرشيف المكتبة، صادفني بعض الكتب الأخرى للأستاذ سيد قطب مثل كتاب "العدالة الاجتماعية في الإسلام"، وكتب أخرى للشيخ محمد الغزالي، والشيخ سيد سابق؛ فتأثرت بها، وسألت عنهما فعرفت بأن الشيخ محمد الغزالي يخطب الجمعة في مسجد الأزهر، وأن الشيخ السيد سابق يخطب الجمعة في مسجد عمر مكرم بالتحرير، فكنت أذهب إلى هذين المسجدين بالتناوب، إلى أن تعلقت بالشيخ محمد الغزالي تعلُّق القارئ المحب الذي يبحث عن أي كتاب يقرؤه للشيخ، وواظبت على حضور خطبته في الأزهر، ولم أترك أي درس أو محاضرة له في أي مكان إلا وحضرتها.

كانت خطبة الشيخ الغزالي خطبة في نفس السياق الذي قرأته في كتاب ظلال القرآن الكريم، وكأن الاثنين يتكلمان بلسان واحد، فقد أثر هذا الشيخ في نفسي أثرًا عظيمًا؛ حتى إنني أقول: إن هذا الرجل هو الذي حببني في هذا الدين، ونال إعجابي بهذا التراث من التفكير العقلاني المتحرر، فقد كان عبقريًّا يسبق عصره.

أما الشيخ سيد سابق؛ فكنت أرى فيه الأكاديمية العلمية، فاشتريت كتابه (فقه السنة)، وكنت أشتريه جزءًا جزءًا، وكان لهذا الكتاب الأثر العظيم في معرفتي بالدلالة النصية على الحكم الشرعي، وأن ما أقوم به من عبادات له أدلته من القرآن والسنة.

وفي تلك الأيام كنت أصلي العصر في مسجد عمر مكرم، فبعد الصلاة قام أحد الناس- وكان يرتدي ملابس الباكستانيين- يلقي درسًا، شرح فيه سورة العصر بطريقة حركية عجيبة، ثم دعا الحاضرين بعد الدرس إلى اللحاق بمسجد بالسبتية في حوض الزهور؛ حيث كانوا يقيمون هناك.

فذهبت معهم، وأقمت معهم في المسجد 15 يومًا كاملة، فكانوا يمثلون جماعة الدعوة والتبليغ، وظللت معهم حتى سافروا إلى أداء فريضة الحج في هذه السنة، وهي سنة 1962م.

وقد عايشت هذه الجماعة معيشة يومية من صيام وقيام وأحببتهم حبًّا جمًّا، وظل التواصل معهم من خلال مسجد أنس بن مالك ومسجد الاستقامة بالجيزة، وكان بعض هؤلاء لهم صلة ببعض الإخوان المسلمين، فبدأت تدور بيننا مناقشات وأخذ ورد مع هؤلاء الإخوان، فلجمال حديثهم وقوة حجتهم؛ استطاعوا أن يضموا بعض الإخوة من جماعة التبليغ، وأنا كنت واحدًا منهم.

"مفهوم قيام الدولة الإسلامية مسئولية المسلمين جميعًا" لم يكن معلومًا وقتئذٍ، ولم يبرز في فكري من قراءاتي السابقة في الظلال أو في فقه السنة أو غيره من الكتب أو اللقاءات التي حضرتها؛ بل إن جماعة الدعوة والتبليغ كانت تركز على ستة مواضيع، من بينها التحذير من الاشتغال بالخلافات السياسية، لكن الإخوة الذين دعوني للالتحاق بالإخوان أثاروا معي هذا المعنى، ودارت نقاشات طويلة حول السياسة والدين، وكان كتاب "النظريات السياسية "لمؤلفه الدكتور محمد ضياء الدين الريس؛ موضع مدارسة ومناقشة في هذا الموضوع، فكان بذلك الخاتمة الفكرية بعد الظلال وفقه السنة اللذين كونا قناعتي الإسلامية.

وانتقلت إلى جماعة الإخوان إلى أن أصبحت في أسرة إخوانية، وزرت الأستاذ سيد قطب في حلوان عدة مرات.

*صف لنا أول لقاء بينكم وبين الشهيد سيد قطب؟

**كان الأستاذ الشهيد سيد قطب أحد أعلام مفكري الأمة في زمانه، فقد زرته أنا وأخ من زملائي بهيئة الطاقة الذرية، وتناول الحديث عن الإسلام وقضايا الأمة وما تعانيه من مشكلات، وضرورة الحركة الإسلامية لتغيير الواقع الأليم، وإعادة الخلافة الإسلامية الراشدة، وتناول الحديث أيضًا عن الطاقة الذرية ومجالاتها، وكان رضي الله عنه يحتفي بنا كثيرًا، ويرحب بنا كأننا ممثلون للطاقة الذرية بالجماعة.

حقيقة الجاهلية

**ما رأي الشهيد سيد قطب الحقيقي في موضوع الجاهلية؟

*سألت الأستاذ سيد قطب عن موضوعي الجاهلية والكفر.. فكان ردُّه أن الإيمان يقابل الكفر، وهما عمليتان متقابلتان، وأن الإسلام يقابل الجاهلية، وأن الوصف بالجاهلية لا يعني الكفر، وأوضح أن الجاهلية انحرافٌ عن الإسلام في الظاهر، وقد يصل هذا الانحراف إلى الكفر.. فالجاهلية قد تطلَق على إحدى المخالفات مثل قول الرسول الكريم" إنك امرؤ فيك جاهلية"، فالوصف بالجاهلية لا يعني الكفر.

وكان ذلك أثناء محاكمتي ضمن 42 أخًا في القضية التي أُطلق عليها "قضية سيد قطب"، وكان معي فيها الأستاذ سيد قطب والحاجة زينب الغزالي والحاجة حميدة قطب.. فكنا نقضي ساعات المحاكمة في القفص أو في عربة الترحيلات في المناقشات والحوارات، وكنا نسأل الأستاذ سيد قطب في قضايا كثيرة، ومنها قضايا الجاهلية والكفر واستهداف الإسلام وسياسة الدولة تجاه الإخوان، وكانيجيبنا بكل حب، وكانت هذا القضايا مثار َاهتمام الجميع، خصوصاً في جوٍّ الاعتقال والسجن والتعذيب، وفي عدم وجود كتب أو مراجع لنا.

**كم مرة اعتُقلت؟

*اعتقلت ثلاث مرات؛ المرة الأولى في 1965م وحكم عليَّ فيها بالسجن بالأشغال الشاقة المؤبدة لمدة 25 سنة، والمرتان الأخيرتان كانتا خلال السنتين الماضيتين؛ الأولى احتجزت فيها لمدة 52 يومًا والثانية لمدة 40 يومًا.

**ما ذكرياتك في المعتقل؟

*السجن الحربي مليء بالذكريات المؤثرة والمؤلمة من الإهانات والتعذيب البدني والنفسي، فقد تُوفي والدي أثناء اعتقالي، فلم أحضر جنازته، ولم آخذ العزاء، كما أنه لم يتم السماح لعائلتي بزيارتي إلا مرة واحدة فقط، ومن خلال الأسلاك وبيننا فاصل يبلغ ما يقارب المترين، ووسط حضور جميع المعتقلين وأهليهم؛ فلم أستطع أن أراهم جيدًا، أو أسمع شيئًا منهم وسط ضجيج الجميع.

غسيل المخ

وأبرز الذكريات هي ما كانت تُسمى بعملية "غسيل المخ"؛ حيث يُحضرون لنا الشيوخ والمفكِّرين وغيرهم، وكان أبرزهم الشيخ محمد بيصار شيخ الأزهر وقتها، والشيخ محمد فتح الله بدران، ومن المفكرين عبد الغني سعيد، والدكتور أحمد شلبي؛ حتى يعملوا لنا "غسيل مخ" أي محاولة تغيير أفكارنا.

وأتذكر أن أول شيخ حضر لنا هو الشيخ محمد بن فتح الله بدران، فقد جمعونا وحولنا اصطف الإخوان، وهو يجلس أمامنا في حجرة، ونحن نجلس على الأرض، وكان لدينا توجس حول هذه القضية ماذا يريدون من مناقشاتنا بعد كل ما حصل، وقد نبَّه علينا العساكر أنه لا مناقشة ولا أسئلة، بل استماع فقط.

وقام حمزة البسيوني بتقديم الشيخ قائلاً: إن الرجل (يقصد عبد الناصر) قلبه كبير يريد أن يتناقش معكم، ويفتح صدره لكم، ولكن أنا في تقديري أنكم لا تستحقون إلا الإبادة والبتر من هذا المجتمع؛ لأنكم مثل السوس ينخر في جسم المجتمع، وقد قابلتكم في 65، والآن وأنا أقابلكم هنا وسأقابلكم في 1975م، وأنا الكرباج وأنا القاضي وأنا اللي بيدي حبل المشنقة.. ثم قال اتفضل يا أستاذ:

والشيخ بعد أن حمد الله وأثنى عليه- وكان هذا الشيخ زميل الشيخ عبد الستار فتح الله السعيد الذي هو معتقلٌ معنا أثناء هذه المناقشة- قال: إن لي شرطًا وحيدًا عليكم قبل أن أبدأ كلامي؛ هو أن يستحضر كل واحد منكم ليفة حمراء، والتي تستعمل في غسيل الأواني ليغسل كل منا ما في رأسه من أفكار.

وكان من تقدير الله أن هذه المقدمة ساعدت في تنبيه الإخوان إلى هذه المحاولة الماكرة، وفي عدم دخولنا في حوارات أو طرح أسئلة على هذا الشيخ أو غيره.

في إحدى هذه المحاضرات.. أخ من الإخوان غلبته نفسه وسأل سؤالاً.. وطالت إجابة الشيخ على السؤال، حتى تململ الحرس فلما رجعنا إلى السجن جمعنا هؤلاء الحرَّاس ونادَوا إلى هذا الأخ صاحب السؤال، وقالوا له ولنا جميعًا: ألم تعلموا يا أولاد (....) أن هذا الشيخ الذي يحاضركم لو قال غير الذي يقول لسُجِنَ معكم افهموا يا أولاد (...) وكان يومًا عسيرًا علينا، وظلوا يعذبوننا طوال اليوم على هذا السؤال!.

**ما ذكرياتك عن المحاكمة؟

*كانت تُنصَب الخيام في السجن الحربي لوكلاء النيابة بجوار مكاتب التعذيب، وكان يُطلَب من كل منا أن يكتب سيرته الذاتية، ومعها اعترافاته التي أقرَّ بها تحت التعذيب، وكان وكيل النيابة يسأل المعتقل منا في بنود هذا الإقرار، فإذا وافق كلامنا ما في التقرير فبها ونعمت، وإذا خالف كلام أحد منا ما في التقرير يبعثهلمكاتب التعذيب ليُضرَب ويُقِرَّ بما في التقرير.

وأثناء التحقيق كنا نسمع أصوات المعتقلين الذين يعذَّبون، وأتذكر أن وكيل النيابة بعد أن انتهى من أخذ أقوالي قال لي: أنت حكمك ثقيل.. ألا تريد أن تكتب التماسًا يخفف هذا الحمل فرددت عليه بأني مستعدٌّ للإجابة عن أي سؤال، فاسأل أجيبك، فقال لي: أنا أحب أن تكتب التماسًا، فقلت: أنا عند موقفي، فقال سأتركك تفكر، وذهب إلى مكاتب التعذيب، وعاد إلي بعد وقت طويل ليقول: لي هل كتبت شيئًا؟ قلت له: أنا قلت لحضرتك قبل ما تمشي: إني مستعدٌّ أن أجيب عن أي سؤال، قال: ألم تسمع إلى الحكمة التي تقول: "لأن يقولوا: جبان فرَّ خيرٌ من أن يقولوا: شهيدٌ يرحمه الله"، وقلت له: لم أسمع عن هذه الحكمة من قبل، فردَّ عليَّ بغضب، وقال مع السلامة.

**من كان معك من شيوخ الأزهر أثناء المحاكمة؟

*الشيخ محمد عبد الله الخطيب والشيخ عبد الستار فتح الله سعيد وغيرهما.

*وكيف كان حال رمضان في المعتقل؟

**مرَّ عليَّ في المعتقل عشرة رمضانات، وكنا نشعر فيها بالحرمان والجوع، ولكن التعذيب كان يقل بعض الشيء في رمضان.

*وماذا حدث بعد خروجك من المعتقل؟

**لما خرجت من السجن في 1975م التقيت الحاج مصطفى مشهور، وكانت المقابلة شبه بيعة، ثم تلا ذلك جلسات لدراسة أحوال الإخوان وإعادة بناء التنظيم.

وكانت هناك اجتماعاتٌ مع الأستاذ عمر التلمساني وكبار الإخوان، وتألفت مجموعات للعمل وكنت المسئول عن مجموعة القاهرة.

وكان في ذلك الوقت بالجامعات المصرية تنتشر "الجماعة الإسلامية"، يقودها شباب متحمِّسون للإسلام، وكانت هناك اتصالاتٌ بينا وبينهم، وكان جزءٌ كبيرٌ منهم يميل إلى فكر الإخوان عن غيرهم، فتمَّ دمجهم مع الإخوان القدامى في الأسر؛ حيث تتكون الأسرة الإخوانية من النقيب واثنين من الإخوان القدامى، واثنين من شباب الجماعة الإسلامية.

*ما برنامجك اليومي؟

**يبدأ مع صلاة الفجر، بعدها أجلس مع إخوان بالمسجد، ونقرأ كل يوم جزءًا من القرآن الكريم ونذكر الله تعالى، ثم أعود إلى البيت أقوم بالكتابة حتى الساعة 7 صباحًا، ثم أسمع نشرة الأخبار، وعندي بعض الدواجن أضع لها الطعام وأصلي الضحى، وأنام في حدود التاسعة إلى صلاة الظهر، ثم أفطر بعد صلاة الظهر، ثم أقضي ما عندي من ارتباطات أو مواعيد، ثم أنام ساعة القيلولة قبل صلاة العصر، بعدها أقوم بعمل مراجعات لبعض الكتب لـ"دار الأندلس"، ثم مطالعة الكتب ومدارستها، ثم أنام بعد العشاء، وأحرص على عدم السهر.

*ما السر في بقاء دعوة الإخوان رغم هذه المحن؟

**إنها دعوة الله سبحانه وتعالى..كما أن الحملات الإعلامية التي كان يروِّ ج لها النظام ضد الإخوان قد أتت بنتائج عكسية، فتعرَّف الناس على دعوة الإخوان وهم في السجون والمعتقلات، والهجوم الشديد على كتب الأستاذ سيد قطب قد هيأَّ وأوجدَ أرضيةً ضخمةً للإخوان، إلى جانب خطب الشيخ الغزالي في جامع الأزهر، وخطب الشيخ السيد سابق بمسجد عمر مكرم، كل هذه قد حرَّكت المياه الراكدة، وغيَّرت عقول الناس.

*بعد هذه السنوات في ظل دعوة الإخوان ماذا تعلمت منها؟

**أهم حاجة عرفتها في ظل الإخوان المسلمين أن القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وعمل الصحابة الكرام؛ هو منهج الإسلام الصحيح، وتلك هي المرجعية الأساسية التي نؤمن بها، ونعمل لها، ونسعى لتطبيقها في حياتنا وحياة الناس.

كما تعلمت أن الدين العظيم يشمل كل مظاهر الحياة، فلسنا بحاجة إلى غيره.

كما تعلمت من خلال دعوة الإخوان أنه لا عصمة لأحد من البشر، وأن كلاً يؤخذ من كلامه ويردُّ إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكذا تعلمت نظام الالتزام والتربية على هذه المبادئ، وأثَّر ذلك في إيجاد الجيل الذي يحمل عبء هذه الدعوة خلفًا عن سلف، وهذا على غير ما عليه له بعض الدعاة من الوقوف عند الكلمة أو الموعظة أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو النصيحة، على مذهب (قل كلمتك وامشِ).

*ما النصيحة التيتحب أن توجِّ هَها لشباب الإخوان؟

**عليهم بدراسة رسالة "التعاليم" للأستاذ حسن البنا؛ فهي تحتوي على كل ما يجب على كل مسلم أن يعلمه عن هذا الدين العظيم

مراجعات
حول فكر الشهيد سيد قطب :

فضيلة أستاذي وشيخي ومعلمي أ.د يوسف القرضاوي :

لقد من الله علينا بنعمة الإسلام وهي أيما نعمة. ومن علينا أيضاً بنعمة الإخوان المسلمين وأنتم في الطليعة. في هذه الكوكبة التي تدعو إلي الله بالحكمة والموعظة الحسنة . وأنا متابع جيد لكتبكم ومذكراتكم في جريدة " آفاق عربية " وبرنامجكم الناجح (الشريعة والحياة) . ولكني عجبت لكتاباتكم في المذكرات عن موقفكم من فكر الأستاذ سيد قطب .. وعن تحليلكم النفسي لشخصية هذا الكاتب الشهيد . ودعني أستاذي الجليل أن أوضح لكم بعضاً من شخصية الأستاذ سيد قطب .

أولاً : انضمامه لجماعة الإخوان المسلمين فهذه تمت علي مرحلتين :

المرحلة الأولي في أواخر الأربعينات – وهو في أمريكا – عندما علم باستشهاد الإمام حسن البنا. ورأي الضجة الكبرى في الأوساط الثقافية في المجتمع الأمريكي والابتهاج والفرحة الغامرة وشرب الأنخاب لاغتيال هذا الرجل مما جعله يطلب من إخوانه أن يرسلوا له مؤلفات حسن البنا رضوان الله عليه – ولكن ردوا عليه بأنه ليس له كتابات كثيرة ولكن مجموعة من الرسائل قرأها في أمريكا. وكان دائماً يقارن بين مفهوم هذه الرسائل وبين ما يراه في المجتمع الأمريكي – قمة الحضارة الغربية – وزادته هذه التجربة اقتناعا فوق اقتناع عن سيادة هذا الدين – كنظام اجتماعي واقتصادي وسياسي علاوة علي العيدة والعبادات علي كل النظم الوضعية التي صنعها البشر . ولما كان فكر حسن البنا يتمثل في جماعة الإخوان المسلمين . فقد عاد إلي مصر وهو ينظر إليهم بفكر حسن البنا. وبدأ الاتصال بهم والتعرف عليهم وعلي مرشدهم الجديد الأستاذ حسن الهضيبي .. عليه رضوان الله. وكانت تلك المرحلة الثانية وانضم إلي الإخوان رسمياً بعد فترة وتولي منصب رئاسة قسم نشر الدعوة. وهو من أهم الأقسام الموجودة في الجماعة في هذه الفترة. وكان ذلك قبل الثورة لا كما ذكرت سيادتكم بعد أن خاب ظنه في رجال الثورة. حيث قامت بعد انضمام سيد قطب رسمياً إلي جماعة الإخوان .

ثانيا : ذكرت سيادتكم أن الأستاذ سيد قطب كان يتهم عارضيه من العلماء بالسذاجة والغفلة والبله والوهن والضعف النفسي والهزيمة . بالله عليك يا شيخنا وأستاذنا هل هذه أوصاف تصدر من مثل الشهيد سيد قطب في حق 34 من كبار علماء الأمة ومفكريها منهم حسن البنا والسيد سابق ومحمد أبو زهرة ومصطفي السباعي ؟! . لقد علمتنا سيادتكم أنه لابد عند أي حكم من الدليل عليه. فما هو دليل سيادتكم علي أن سيد قطب أهان علماء الأمة بهذه الأوصاف ؟ أما أنا فعندي الدليل المعاكس :

1 – هل يعقل أن ينضم إلي جماعة يري في نؤسسها حسن البنا أنه ساذج وغافل وأبله ومهزوم نفسياً ؟!

أنا أشهد أنه عندما كان يذكر اسم حسن البنا أو حسن الهضيبي أما سيد قطب فإنه كان يعتدل في جلسته احتراماً وإجلالاً لهذين الشيخين الجليلين وعندما كان يحاكم في عام 65 ظل رئيس النيابة يهاجمه لمدة ثلاث أيام وعندما وقف سيد قطب للدفاع لم يدافع عن نفسه ولكنه دافع عن الإمام الشهيد (حسن البنا) ومضابط المحكمة والحاضرون – وأنا منهم – خير شاهد علي ذلك .

2 – من المعلوم لدي بعض الإخوان الذين عاشوا مع الأستاذ الهضيبي في آخر أيامه – عليه رحمة الله – وكانوا يطالبونه باستخلاف أحد الإخوان لمنصب المرشد العام. كان يردد دائماً " لا أحمل أمانتها حياً أو ميتاً " وردد أكثر من مرة لو كان سيد قطب حياً لاستخلفته . فهل الأستاذ يستخلف رجلاً ينظر إلي علماء مصر بأنهم بلهاء وسذج وغافلون ؟ حاشا الله .

3 – عندما كان يذكر اسم سيد قطب أمام الأستاذ عمر التلمساني – المرشد العام الثالث – رحمة الله – كان يبكي ويقول : " كنت أتمني أن يمد الله في عمره حتى نستزيد من علمه " فهل كان الأستاذ عمر التلمساني ساذجاً وأبله وغافلاً في نظر سيد قطب ؟! . 4 – إن من عايش الأستاذ سيد قطب عن قرب يشعر بأدبه الجم وتواضعه وعفة لسانه. وكان كثيراً ما يردد : " إننا نحب الناس جميعاً ولكن نكره معصيتهم. وهل أحداً تحرص عليه وتشد من أزره وتدله علي الطريق السليم. وهل نحن نفعل مع الناس غير ذلك ؟ لذلك فنحن نحب كل الناس ولكن نكره المعصية . هذه هي أخلاقيات شهيد الإسلام سيد قطب كما عايشتها وعايشها كثيرون غيري عن قرب

ثالثاً : أما عن قضية تكفير الناس والمجتمع فأنا أشهد بالآتي : (والله علي ما أقول شهيد) : في أثناء محاكمة الإخوان في عام 1965 كان الأستاذ سيد قطب هو المتهم رقم واحد وكنت أنا – فؤاد حسن علي – المتهم رقم 23 وعلي ذلك كنا جميعاً في قفص واحد أثناء المحاكمة وفي إحدى الاستراحات أثناء المحاكمة سألنا الأستاذ سيد أنا والأخ فاروق المنشاوي – رحمه الله – توفي في حادث جنائي في السجن .. سألناه عن رأيه في تكفير المجتمع والأفراد فيشهد الله أنه أحمر وجهه وقال : من يستطيع أن يقول ‘ن هذا المجتمع كافر أو أفراده كافرون ؟! أن شرط الحكم علي كفر أي إنسان هو إقراره بالكفر بمعني أن يبلغه عن الإسلام بلاغاً مبيناً فيقصر علي رفضه وفي هذه الحالة لابد أن نبلغه أن رفضك هذا كفر فيقرُّ بهذا. وقد سألناه : أليس ما نشر في الجرائد عن الإسلام وعن جماعة الإخوان المسلمين يعتبر بلاغاً مبيناً ؟ فأجاب : بل هو بلاغاً مسيء . أما عن استعماله كتاب " معالم في الطريق " لفظ المجتمع الجاهلي فشرحه الآتي : إن لفظ الجاهلية جاء في القرآن الكريم في أربعة سور (آل عمران. الأحزاب. الفتح. المائدة) ثلاث آيات تعتبر عن جاهلية السلوك ولا تخرج من الملة. والآية الرابعة العي هي في سورة أل عمران هي التي تخرج عن الملة أي فيها الكفر بالله ونص الآية : (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية). فعندما أقول مجتمع جاهلي أو جاهلية القرن العشرين لا أقصد بها آية أل عمران ولكن الجاهلية السلوك. وقد قال صلي الله عليه وسلم لأبي ذر الغفاري : " أنت امرؤ فيك جاهلية " وذلك في الواقعة المشهورة مع بلال رضي الله عنه . فهل كان رسول الله يتهم أبا ذر بالكفر ؟ وأظن أن التفسير واضح وفكر سيد قطب في قضية التكفير واضح تماماً .

أخوكم وتلميذكم
فؤاد حسن علي

منهج جديد لقراءة سيد قطب :

يمثل سيد قطب علامة فارقة في تاريخ الفكر الإسلامي عامة وتاريخ الأفكار داخل الحركات الإسلامية. فهو انتقل بالفكر الإسلامي كله نقلة نوعية كبيرة جعلته يمثل ملمحاً فاتحاً في التطور الفكري العام داخل العالم الإسلامي وداخل الحركات الإسلامية الحديثة

المعاصرة . سيد قطب يعتبر أن المجتمع المسلم لا يمكنه أن يتحقق إلا بقيام عصبة مؤمنة تفاصل المجتمعات الجاهلية التي تسود العالم اليوم ثم تتحرك لإزالة هذه المجتمعات .

فعلي المستوي الفكري العام أرسي سيد قطب النواة الأولي لمدرسة أسلمة العلوم الإسلامية والتأسيس لمنهج التعامل مع الجانب الثقافي والفكري والعقدي والحضاري العام في الظاهرة الإسلامية . وكما كانت مدرسة سيد قطب ثورية في الحركات كانت كذلك في منهج التعامل مع الحضارة الإسلامية. حيث اعتبر مناهج المستشرقين في تناول الجانب غير المادي بالحضارة الإسلامية. حيث اعتبر المناهج منحازة وبالتالي يجب استبعادها. كما قدم الفكر الإسلامي بشكل فيه طابع التميز والاستعلاء الإيماني حيث مصادر خصوصية تتبع من كونه يستلهم قوته من الوحي وهو مصدر أعلي منه قوة .

وهو يطرح الفكر الإسلامي بسعته ومرونته التي تجعله يرفض التلفيق والترقيع. فهو يتشابه مع غيره في بعض الجزيئات لكنه لا يلتقي مع غيره في بعض الجزيئات لكنه لا يلتقي مع غيره بحيث نقول اشتراكية الإسلام أو ليبرالية الإسلام . وهو فوق ذلك طرح العدالة الاجتماعية في الإسلام وتكلم عن الإسلام ومشكلات الحضارة. ولكن الإضافة الكبرى التي جعلت من فكر قطب قامة تناطح الأيام هو استلهام الحركات الإسلامية التي جاءت بعد استشهاده لأفكاره بحيث مثلت هذه الأفكار منبعاً ثورياً متجدداً يدعو للتغيير والحركة التي لا تتوقف ضد الطواغيت الذين ينازعون الله حقه في التشريع والحكم. لذا أقلقت أفكاره مضاجع النظم التسلطية والاستبدادية. كما أقلقت بعض الحركات الإسلامية التي تهادن الواقع وتسعي للتكيف معه والتعايش في ظله .

وهنا يؤسس سيد قطب لمواجهة النظم الداخلية التي يري أنها جاهلية. بيد أنه يقف مع العالم كله وقفة مفاصلة ومواجهة أيضاً حيث يعتبر أن الوطن الإسلامي أو دار الإسلام هي الدار الوحيدة التي يمنحها المسلم ولاءه والعالم كله هو دار حرب يقف المسلم معه موقف حرب أو مهادنة يدفع فيها الجزية . إن هذا يبرر في الواقع الفزع من أفكار قطب لأنها لا تزال تمثل مصدراً للثورة علي النظم السياسية في الداخل وعلي النظام العالمي الذي يري سيد أنه نظام ضد الإسلام . ولكن الجديد والمهم هنا والذي أريد إضافته هو أن سيد في كل ما طرحه في الظلال والمعالم ومقومات التصور الإسلامي وخصائصه كان يؤسس لمستوي العقيدة والمبدأ وهي تمثل في النسق الإسلامي موضعاً للإجماع. ومن ثم فكل جهاد وأطروحات سيد قطب تدور في مستوي العقيدة والمبدأ ولم يتجاوز قط لما نسميه مناطق الاجتهاد .

الضغط الذي مثله النظام الناصري علي جماعة الإخوان وعلي المجتمع المصري كله وعلي الجوفة العلمانية التي دهمها انتفاشه وعلوه مثل السياق الاجتماعي الذي كتب فيه أفكاره :

هو يتحدث عن قضايا عقيدية مثل الحاكمية والتشريع والإيمان والإسلام والوحي ومصادر المرجعية. وهذه جميعها يطلق عليها الأصوليون " الثابت الذي لا يتغير" فهي مسائل يتلقاها المسلم بالتسليم والطاعة. أما المسائل المتغيرة التي تكون موضعاً للاجتهاد وإعمال العقل وهي من مظاهر التنوع والتعدد في الشريعة الإسلامية فلم يتعرض لها قطب قط في أطروحته التي يمكن وصفها بأنها أطروحة للأصول في الإيمان والإسلام والجاهلية والحاكمية والتشريع . وللحق فإن الضغط الذي مثله نظام الرئيس جمال عبد الناصر علي جماعة الإخوان وعلي المجتمع المصري كله وعلي الجوفة العلمانية التي دهمها انتفاشه وعلوه مثل السياق الاجتماعي الذي كتب فيه قطب أفكاره .

وانهي أهل السنة إلي أن هناك فرقاً بين القول العام بالكفر الخاص المعين. فليس القول العام معناه تكفير الأعيان أو الحكم علي الأشخاص ولكنه تعبير عن حالة من سيادة وضع عام. وهذا ما يجب أن نفهم في سياقه فكر سيد قطب. لأن التراث الفكري لسيد قطب تراث مهم وكبير ولا يمكن القفز عليه أو تجاوزه ولكنه بحاجة إلي وضع أسس للتعامل معه وضبطه بدلاً من شن هجوم علي شخصه وأفكاره . حين غالي المسلمون في الإمام مالك وظنوا أنه لا يصيبه الخطأ ووضعوا شخصه وفقهه فوق قدره ألف الشافعي كتابه الرائع " خلاف مالك " ليثبت أنه بشر يصيب ويخطئ . والواقع أن السياق التاريخي الذي وضعت فيه أفكار سيد قطب كان استثنائيا عكس الهزيمة الساحقة التي عاشتها المجتمعات الإسلامية مع مجيء النظم العسكرية وهيمنة الأفكار العلمانية. ومع التراجع الحضاري العام للعالم الإسلامي أمام الحضارة الغربية قويت عند سيد قطب فكرة المؤامرة علي العالم الإسلامي التي يقف ورائها اليهود والصليبيين. وبالطبع فإنه مع الحرب الفكرية التي يجري شنها علي الحركات الإسلامية بعد أحداث سبتمبر/ أيلول تمثل أفكار قطب الثورية مقصداً للهجوم والتهميش باعتبارها خطراً علي المقاصد الغربية ذات الطابع الاستعماري تجاه عالم الإسلام. لكن هجمة التيارات التي تصف نفسها بالوسطية علي أفكار قطب سوف تفسر علي أنها تعبير عن المخطط الغربي لجعل الصراع والصدام الفكري داخل العالم الإسلامي وليس بين العالم الإسلامي والغرب .

ومن مفارقات القدر الإلهي فينا. أن يستلهم أفكار قطب تيار الشباب الجديد داخل الصحوة الإسلامية في مصر. كما تأثر بأفكاره تيار الصحوة الإسلامية في السعودية وأثر بأفكاره عامة الحركات الإسلامية في العالم التي ظهرت في السبعينات .

السياق التاريخي الذي وضعت فيه أفكار قطب كان سياقاً استثنائياً عكس الهزيمة الساحقة التي عاشتها المجتمعات الإسلامية مع مجيء النظم العسكرية وهيمنة الأفكار العلمانية :

ويمثل الإنتاج الفكري لسيد قطب قمة كبيرة ومتميزة في أوساط الحركة الإسلامية بالعالم الإسلامي كله. وسيظل لهذا الإنتاج دوره الكبير في المستقبل لكنه بحاجة إلي فهم السياق الذي ظهر فيه من ناحية. وإلي فهم أن ما طرحه كان في المستوي الثابت في النسق التشريعي الإسلامي. وهذا المستوي له منهج في التعامل معه حيث إنه موضع للإجماع وإنه يتلقي كمبادئ هي جزء من نظام القيم الإسلامية. وهو في ذلك يختلف عن المستوي المتغير الذي يختلف باختلاف الزمان والمكان . ومن يقرأ أبو الأعلى المودودي الذي أثر به سيد قطب ومثل أحد المصادر الأساسية لتحوله الفكري. سوف يجد أنه في القضايا التي تناول فيها مسائل في المستوي الثابت من النسق التشريعي الإسلامي استخدم لغة أشد قطيعة من قطب. لكنه في القضايا المتصلة بتفصيلات النظام السياسي مثل تدوين الدستور الإسلامي استخدم لغة مختلفة فيها التسامح والسعة . بينما كان قطب يري أن تفصيلات النظم في الواقع الإسلامي لا يجوز التعرض لها إلا حين يقوم المجتمع الإسلامي نفسه .

إن الذي كتب الحياة لأفكار سيد قطب هو إخلاصه لها واقتناعه بها وضربه المثل والنموذج للمثقف المكافح الثائر. ومن المهم الحفاظ عليه كنموذج لإعادة الاعتبار لتقاليد الحضارة الإسلامية التي عرفت نموذج المثقف المكافح الذي يفضل الموت علي الخضوع للحاكم والسير في زفته كأحد غلمانه .

دفاع عن " قطب " أمام محكمة الإخوان :

من الإنصاف أن نعترف للشهيد بثباته المتميز وتماسكه الفريد أمام الغزو الفكري والاجتياح الثقافي. كما يجب أن نعترف بعبقريته – بين المفكرين الإسلاميين في القرن العشرين – في نظرته الشمولية للمعرفة. ومن ثم في صنع "الحضارة" وعلاقتها بالعلم التجريبي من ناحية – وهو من صلاحية العقل البشري – والإيمان من ناحية أخري : كبديل إلهي عن حتمية عجز هذا العقل عن التشريع خاصة. أو الخوض في العلوم الإنسانية عامة. مما قاده منطقياً في تسلسل معين إلي وصف المجتمع الإنساني المعاصر بـ" المجتمع الجاهلي ". أو " جاهلية القرن العشرين ". ومن ثم إلي تشكيكه في جدوى الاجتهاد الفقهي لهذا المجتمع .

بين الجاهلية والتكفير :

إن جاهلية المجتمع لا تعني التصريح بكفره مادمنا التزمنا بالمصطلحات العلمية الشرعية. ولا أحسب الشهيد إلا قاصداً للبعد عن مصطلح التكفير عمداً والحكم علي " المجموع " – مجموع المجتمع – لا يعني الحكم علي الجميع : جميع الأفراد. وهي قاعدة مقررة منطقياً وشرعياً . ولا أعلم أن الشهيد سيد قطب صرح بتكفيره مسلماً بعينه. وإن يكن .. فقد يكون له سند فيما يكون داخلاً من ذلك تحت مفهوم قوله صلي الله عليه وسلم :" أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم علي الله " (صحيح مسلم وللبخاري مثله) وله مخرج فيما اشترطه فيمن "لا يكون مؤمناً ". حيث صرح بأن هذا الوصف إنما يلحقهم إذا كان أتباعهم لتشريع العباد لم (بغير إنكار منهم يثبت منه أنهم لا يتبعوه إلا عن إكراه واقع بهم لا طاقة لهم بدفعه). وهو شرط محوري لا يصح التعتيم عليه ونحن نعرض فكر الشهيد . وله فسحة فيما اصطلح عليه العلماء من القول بدرجات من الكفر " لا تخرج من الملة ". وله فسحة في بعض أحاديث الرسول صلي الله عليه وسلم من تكفير لا يخرج من الملة .

أحسب أنه لم يقل الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي بأن سيد قطب كفر مسلماً بعينه. لأنه يعلم أن من كفر مسلماً فقد باء بها أحدهما. وتقريظه للشهيد سيد قطب وثناؤه عليه ودعاؤه له لا يسمح بذلك . أما ما ينسب إلي الشهيد سيد قطب من نقد طائفة من العلماء والمفكرين المحدثين مثل محمد عبده ومحمد مصطفي المراغي ومحمد فريد وجدي ... إلخ فمقبول مبدئياً علي أساس التشكيك. والتشكيك يعني أن الأفراد يشتركون في أصل المعني ويتفاوتون في حظهم منه : شدة أو ليناً. قوة أو ضعفاً. يقظة أو غفلة. ظهوراً أو خفاء كثرة أو قلة .. إلخ. وعلي سبيل المثال فقد كان بعض هؤلاء قد انتسب في فترة من حياته إلي الماسونية. وتعاون بعضهم تعاوناً واضحاً مع رأس الاستعمار كما هو معروف .

الجاهلية والاجتهاد الفقهي :

ينبهنا الشهيد إلي سؤال يأتي سابقاً – في تقديره – علي سؤالنا الذي يتردد كثيراً ويبحث كثيراً في المؤتمرات ومجالس البحوث : عمن تصدر الاجتهادات الفقهية والإصلاحية ظ في أي شيء تكون الفتوى الاجتهادية أو الرأي الإصلاحي ؟ وهذا السؤال الذي ينبغي أن يأتي أولاً هو : إلي من توجه هذه الفتاوى والاجتهادات ؟ وذلك إذ نبه الشهيد إلي أن المجتمع الإسلامي – في وقته – كان قد انحط إلي درجة غير مسبوقة. وهي أنه صار مجتمعاً جاهلياً حسب وصفه – وهو وصف لا يقتضي بالضرورة تكفير الجميع – وأنه قبل الخوض في بعض الاجتهادات الفقهية أو الإصلاحية الجديدة التي تساق لهذا المجتمع يجب أن يتأهل المجتمع للتعامل معها بإيجابية. وشرط ذلك أن يخرج المجتمع أولاً من حالة الجاهلية. وإلا فالتجربة ظهرت أمام أعيننا في اجتهادات تتخبط في موضوعات الاقتصاد والجهاد والسياسة والتعليم والمرأة والفن والثقافة. وهي لا مفر من أن تتأثر باتجاهات هذا المجتمع في حالته الراهنة : إما أن " تيسر" له جاهليته وهذا هو الغالب. وإما أن تنحرف عند التنفيذ إلي ما كان مقصوداً عند الفتوى :

أ – ومن ذلك ما حدث في الفتاوى التي أقامت البنوك الإسلامية. إذ تعامل معها الجمهور بالنفسية الربوية ذاتها التي ذاق فوائدها في البنوك الربوية ن مما أدخل البنوك الإسلامية في مأزق حتمية توزيع الأرباح. وأصابها بالأنيميا أو التبعية .

ب – من تلك الفتاوى أو الاجتهادات ترديد مصطلح " التكفير " والتكفيريين " و " الفكر التكفيري " وصماً لبعض المفكرين ممن يتهمون بالتطرف – ومنهم الشهيد جدلاً – مما وصل إلي طرح مصطلح : " تعددية النجاة في ذيل " تعددية الأديان ". ويكاد يضعنا في تصور مغلوط عن دين الإسلام. وأصبح يوحي بعدم جواز اتهام الكافر كافراً فقد كفر ". والله سبحانه وتعالي يخاطب من يقول لهم :" لكم دينكم ولي دين " .. بتصدير قوله تعالي : (قل يا أيها الكافرون) .

ج – ومن ذلك محاولات الإصلاح في مؤسسة كالأزهر لن يستقيم حالها ما لم تعد إلي ما كانت عليه في عنفوانها من إمكانية استمداد طلابها من المستوي الأرقى أو الأعلى ذكاء وتعليماً وتديناً. وهيهات في مجتمع كالذي يصفه الشهيد سيد قطب .

د – والمقاومة والثورة أتكون بشرط كفر الحاكم البواح أم يسبقها العصيان بحكم قوله صلي الله عليه وسلم : " لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق " .

هـ -ويمكن تحليل أمثلة أخري في مجالات المرأة والتعليم الديني والدعوة والترفيه والسياسة ... إلخ. وهي مواطن تتعثر فيها الخطوات أو تطيش لا لمحض العجز عن الاجتهاد الفقهي أو الإصلاحي. ولكن لأمراض في المجتمع أبعدته عن جو العقيدة والشريعة. مما كان الدعاة قبل الشهيد وبعده يلحون في وعظهم علي " شدة بعد المجتمع عن الدين " واستحقاقه من ثم الهزيمة والبلاء. مما سماه الشهيد جاهلية القرن العشرين. والخطب فيما اصطلح عليه الشهيد يسير لو كنا قد تابعنا مصطلحه بالتوضيح والتفسير .

المسامحة مع عبارات الشهيد :

إنه لا مفر من التسامح أو المصالحة أو الإصلاح !! مع بعض عبارات الشهيد التي تأتي في سياق النحت الأدبي والاسترسال الأسلوبي الرفيع بعيداً عن المصطلحات العلمية والفقهية المقررة : مثل قوله بـ " توقف وجود الإسلام " فهو تعبير ينبغي أن يؤخذ بتجوز. وهو لا يصلح – إن أردنا الدقة – حتى علي مذهبه في وصف المجتمعات الإسلامية المعاصرة بالجاهلية. لأنه بالرغم من ذلك فهو – أي الشهيد – يفترض وجود " العصبة الإسلامية " – حسب تعبيره – التي تنطلق منها " عودة الإسلام كما بدأ " كما جاء في الحديث الشريف .

الجاهلية .. حالة موضوعية أم فترة تاريخية :

لفظ الجاهلية من مبتكرات القرآن. فلم يسمع لدي العرب إلا بعد نزوله ثم استخدام في السنة النبوية. فكان له حينئذ معني واضح ومحدد. ولئن شابه الكثير من الغموض والاضطراب في الفكر الإسلامي الحديث . فلعل ذلك يرجع في كثير من جوانبه إلي انتقاد التأصيل المنهجي الواضح لهذا العموم. انطلاقاً من دلالته في اللغة العربية أولاً ثم في الأصول المنزلة بعد ذلك . وفي محاولتنا لتحديد هذا المفهوم يبرز علي جانب كبير من الأهمية وهو هل الجاهلية حالة موضوعية أم فترة تاريخية : انقسم الفكر الإسلامي في الإجابة علي هذا السؤال إلي تيارين :

الأول : نظر إلي الجاهلية باعتبارها فترة انقضت ولا يمكن تكرارها. فهي تصف حالة مكانية زمانية محددة. وتنطبق فقط علي المشركين من القبائل العربية قاطني الجزيرة العربية قبل بعثة النبي صلي الله عليه وسلم دون أهل الكتاب من العرب المعاصرين لهم في الزمان . بعبارة أخري فإن الجاهلية وفقاً لهذا التيار هي الحال التي كان عليها مشركو العرب قبل الإسلام من الجهل بالخالق سبحانه وتعالي. ومن المفاخرة بالأنساب. والكبر والتجبر. وما كان أهل الجاهلية يعتمدونه من أخذ الجار بجاره والحليف بحليفه نحو ذلك .

الثاني : وهو اتجاه في الفكر الإسلامي المعاصر والحديث يذهب إلي اعتبار الجاهلية حالة موضوعية تقوم متى توافرت مجموعة من السمات والخصائص في فرد أو مجتمع أو نظام. بصرف النظر عن مكانه أو زمانه وقد كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله (1115-1206هـ / 1703-1791) أول من استخدم المفهوم بهذا المعني في رسالة صغيرة الحجم سماها مسائل الجاهلية. وليس أبا الأعلى المودودي كما هو شائع . ويلاحظ علي هذا الطور من مسيرة المفهوم ما يلي :

1 – سعة المفهوم بدرجة كبيرة. فقد بلغت مسائل الجاهلية عند ابن عبد الوهاب مائة مسألة. وقد كانت كلها بمثابة بدع عقدية وعملية. وبدع عبادية .

2 – كما أن وصف الجاهلية لحق الكتابيين بالإضافة إلي مشركي العرب أيضاً .

3 – فمفهوم الجاهلية في هذا الطور قد طرح تعبيراً عن واقع الانحراف في حياة المسلمين عن دينهم. وظل أصحاب هذا الطور يطلقون مسمي الإسلام علي من اتصف بصفة من صفات الجاهلية. ولا يجعلون منها وصفاً يشمل جميع المسلمين. فالألوسي في مؤلفه نهاية الأرب في معرفة أحوال العرب يميز بين نوعين من الجاهلية : الجاهلية المقيدة والجاهلية المطلقة. ويجعل من الأولي وصفاً يمكن أن يقوم في بعض ديار المسلمين وفي كثير من الأشخاص المسلمين. أما الجاهلية المطلقة فقد تكون في مصر دون مصر كما هي في دار غير الإسلام. وقد تكون في شخص دون شخص كالرجل قبل أن يسلم. وأما في زمان مطلقا فلا جاهلية بعد بعثة النبي صلي الله عليه وسلم فإنه لا تزال من أمته طائفة ظاهرين علي الحق إلي قيام الساعة .

4 – وإذا كان منشأ الجاهلية كحالة موضوعية في الفكر الإسلامي الحديث عربياً. فإن تطويراتها التالية قد جاءت من الهند. والذي أرجحه أن المفهوم قد انتقل إليها من خلال طبع رسالة ابن عبد الوهاب في فترة مبكرة بها .

بين الأستاذ الكبير .... والشيخ الجليل :

تابعت باهتمام الحلقات المسلسلة التي نشرت من مذكرات الشيخ القرضاوي – وفقه الله إلي ما فيه الخير – وفيها من المعلومات المهمة والفوائد الشيء الكثير. ولكن استوقفني كثيراً الحلقتان اللتان نشرتا في عددي الثاني عشر والتاسع عشر من جمادى الأولي. واللتان تحدث فيهما شيخنا القرضاوي عن فكر الأستاذ سيد قطب بعد أن أثني عليه جميل الثناء كما عودنا الشيخ بدماثة خلقه وحبه لمن سبقه في الطريق إلي الله. وذكر شيخنا أن حبه لسيد قطب لا يمنعه من أن يخالفه في جملة توجهاته الفكرية الأخيرة. وذكر شيخنا قاعدة ذهبية في هذا الأمر أنه لا لوم عليه في هذا : العصمة ليست لأحد بعد رسول الله صلي الله عليه وسلم وأن ما يذكره هو من باب النصيحة في الدين. والأعذار إلي الله وبيان ما يعتقد أنه الحق. وأنه كل يؤخذ من كلامه ويُرد عليه إلا الرسول صلي الله عليه وسلم .

وعملاً بنفس تلك القاعدة الذهبية أناقش شيخنا القرضاوي فيما وصل إليه من استنتاجات بخصوص فكر الأستاذ سيد قطب. وأقول "استنتاجات " لأن الشيخ لم يُكتب له وللأستاذ سيد أن يتقابلا بعد خروج الأستاذ من السجن عام 1964 وحتى ألقي القبض عليه مرة أخري في العام التالي ثم إعدامه. وبالتالي لم يتحقق مباشرة من مرادات الأستاذ سيد ولم يحادثه مباشرة. وإنما هي قراءات قارئ. له أن يقرأها بفهم معين مهما كان ثاقباً، ولغيره أن يقرأها قراءة أخري. والبينة لمن استطاع أن يشد الكتابات بعضها إلي بعض فيفهم مراد الكاتب منها فيما غمض أو التبس. دون أن يطلق للظنون العنان . يقول الشيخ القرضاوي إن أخطر توجهات الأستاذ سيد الجديدة هي ركونه إلي التكفير والتوسع فيه. بحيث يفهم القارئ من ظاهر كلامه في مواضيع كثيرة ومتفرقة في (الظلال) وفي (المعالم) أن المجتمعات كلها قد أصبحت جاهلية وهو لا يقصد بالجاهلية جاهلية العمل والسلوك فقط. بل جاهلية العقيدة . وإنها الشرك والكفر بالله !

ويمضي الشيخ في قراءته لفكر الشهيد سيد قطب. وهي التي تلتقي مع قراءات الخوارج المتطرفين لنفس الفكر. فهؤلاء قرأوه نفس القراءة فتذرعوا بفكر الرجل لتكفير المجتمعات. وهكذا قرأها الشيخ القرضاوي مثلما قرأوها فانتقد الرجل. والحق – كما أري – أن كتابات سيد قطب بريئة من تلك القراءة. ولقد طبعت كتبه عشرات الطبعات وخاصة (في ظلال القرآن) ووزعت منها مئات الآلاف من النسخ صارت نبراساً للآلاف من السائرين في طريق الله وأكثرهم من الشباب. فلم يكفروا المجتمع. وأنا أعرف العشرات ممن يقتنون كتب سيد قطب وقرأوها مثني وثلاث. فلم تصل إليهم تلك القراءة المتعسفة. ولذلك كم كان بليغاً أن يتحدي الأستاذ أحمد منصور – كما

ذكر الشيخ القرضاوي نفسه – أن يأتي أحد من كتابات سيد قطب بكلمة التكفير للمجتمعات الإسلامية. وقبل شيخنا التحدي وقال إنه سيأتي بنصوص أوضح من الشمس في رابعة النهار. فإذا به يأتي بنصوص ليس فيها كلمة الكفر مطلقاً. وهذا يؤكد ما وصل إليه جل من يقرأون لسيد قطب أن الرجل لم يقصد التكفير ولا استخدام لفظته مطلقاً. ولو أراده لاستخدام لفظته لو مرة واحدة !! تحدث سيد قطب عن انقطاع الأمة المسلمة منذ قرون. وأن الأمة البعيدة عن كتاب ربها وتحيا حياة جاهلية (فهذا ليس إسلاماً. وليس هؤلاء مسلمين) تلك الفقرة هي قصارى ما أتي به شيخنا القرضاوي. ولو رده إلي باقي كتابات سيد قطب لعلم مراده منها. ففي اللغة العربية كما يعلم شيخنا يكون هناك محذوف بين السطور ولكنه ظاهر في المعني. وكلام سيد قطب فيه محذوف واضح عندما يقول : " هذا ليس إسلاماً " فالمقصود هذا ليس الإسلام كما أراد الله. وليس المقصود أنهم كفرة وتجد هذا الأسلوب البلاغي في أحاديث كثيرة للرسول صلي الله عليه وسلم. يقول الرسول : " والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن. ولا يأمن جاره بوائقه " فهل يفهم من ذلك أن نكفر من يؤذي جاره ؟! ويقول الرسول صلي الله عليه وسلم : " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده " فهل نفهم من ذلك كفر كل من يؤذي المسلمين بلسانه ويده. أم أن المحذوف هنا واضح. وأن المقصود (لا يؤمن حق الإيمان) و(المسلم الحق هو من سلم المسلمون من لسانه ويده) ؟! .

ويؤكد هنا إلي كلام سيد قطب نفسه في الظلال. ففي فسير قوله تعالي : (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً) يقول : " وما يعوق هذه الأمة اليوم عن تأخذ مكانها الذي وهبه الله لها. إلا أنها تخلت عن منهج الله الذي اختاره الله لها. واتخذت لها مناهج مختلفة ليست هي التي اختارها الله لها واصطبغت بصبغات شتى ليست صبغة الله واحدة منها. والله يريد لها أن تصطبغ بصبغاته وحدها ". وهكذا يقرر سيد قطب أن أمة الإسلام موجودة لكنها معوقة لأنها ابتعدت عن منهج الله. وهذا الإقرار الصريح ينفي كل مزاعم التكفير. أما انقطاعها عن الدنيا كما ذكره في موضع آخر فهو انقطاعها كأمة قائدة ملتزمة بدينها كما يريد الله لها أن تكون. ولو كان سيد قطب يقصد انقطاع الإسلام وإحلاله بالكفر لما كان للفقرة السالفة الذكر معني. وهي من أواخر ما كتب سيد قطب فلم ينسخها رأي جديد. والمعروف أن الرجل أعاد مراجعة الأجزاء الأولي من الظلال وهذه منها. فهي من آخر ما راجعه رحمه الله .

وانقطاع أمة الإسلام بماهيتها التي أرادها الله لها شيء معلوم أخبر به رسول الله صلي الله عليه وسلم ولم يبتدعه سيد قطب. قال رسول الله صلي الله عليه وسلم في الحديث الذي أخرجه أحمد : " تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها. ثم تكون خلافة علي منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها. ثم تكون ملكًا عاضاً فيكون ما شاء الله أن يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها. ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إن شاء الله أن يرفعها. ثم تكون خلافة علي منهج النبوة " وقال صلي الله عليه وسلم فيما أخرجه أحمد " لينقضن عرى الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها. وأولهن نقضا الحكم وآخرهن الصلاة " وقد تتبع الأستاذ محمد قطب خط الانحراف عن منهج الله في مؤلفه العظيم (واقعنا المعاصر) وكيف أن حكم الخلافة الراشدة حل محله الملك الأموي بتجاوزاته. تلك التجاوزات التي تعاظمت في عهود العباسيين وما تلاها حتى صارت قواعد راسخة باعدت بين الأمة وبين ما أراده الله منها وأراده لها. حتى لم تعد هي أمة الإسلام التي تحدث عنها القرآن وحضت عليه سنة الرسول صلي الله عليه وسلم وأفني الصحابة أعمارهم في سبيل إقامتها . وما أتي سيد قطب بجديد. والغلو ليس في كلماته وإنما في قراءتها. فإن التطرف وفكر الخوارج تصنعه عوامل كثيرة. والخوارج في كل زمان ومكان يعمدون إلي النصوص فيحملونها ما لم تحمل. ويئولونها علي ما لم تتجه. فيخرجون بها عن معناها. وهكذا فعلوا مع كتابات سيد قطب كما فعل أسلافهم الخوارج الأولون الذين كانت كل استدلالاتهم من خلال آيات القرآن يؤولونها علي ما يريدون. فهل كان العيب في القرآن أم في تأويلاتهم ؟! ويكفي أن نراجع كتاب المستشار سالم البهنساوي (فكر سيد قطب في ميزان الشرع) حتى نتيقن من براءة الرجل وفكره من تلك القراءات. أسأل الله أن يهدينا إلي ما فيه الخير. وكل التحية لشيخنا الجليل .

في حب سيد قطب :

لا يشك إنسان منصف ومحق في أن سيد قطب الأديب الفاضل والشيخ الشهيد كان كله للإسلام عاش به وعاش من أجله فهو شخصية إسلامية بناءة في فكرها وتوجهها .. ما كان إلا أن يعيد الإسلام مجده المسلوب المنهوب حتى يعود الحكم الراشد إلي الأرض ويسود العدل بين العباد كما كان في عهد النبي صلي الله عليه وسلم. وعهد الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ..

لقد عاش سيد قطب لدعوة الإسلام خالصاً مخلصاً لها جاءته الشهادة فلم يتأخر أو يتوان أو يرجع. بل كان شجاعاً جريئاً مقدماً .. تقدم بثبات وخطى نحو بلاء الدنيا ليلقي ربه راضياً مرضيا يشكو له ظلم العباد والطواغيت . لقد اتجه سيد لدعوة الإخوان المسلمين عندما رأي بعينه فرحة الشعب الأمريكي لمقتل حسن البنا لأنه كان مصدر خطر علي الاستعماريين الغربيين وعملائهم في الشرق .. فاتجه إلي دعوة الحق والقوة والحرية وحارب بكتاباته النارية مظاهر الفساد السياسية والاجتماعية والاقتصادية وهاجم المفسدين ودعا إلي الإصلاح علي الإسلام . لقد كان يدعو إلي منهاج الإسلام الصحيح علي بينة .. ففكره سلفي خالص خالٍ من الشوائب والرواسب . ولم يقم بتكفير الناس وإنما قال في ذلك : " إن مهمتنا ليست إصدار الأحكام علي الناس ولكن مهمتنا تعريفهم بحقيقة (لا إله إلا الله) لأن الناس لا يعرفون مقتضاها وهو التحاكم إلي شريعة الله " .

كانت حياة سيد قطب منقسمة إلي قسمين أو مرحلتين. **الأولي :** هي التي غلب عليها الطابع الأدبي من نقد وشعر وقصص وأدب والمرحلة **الثانية :** وهي تغيير جزري عن الأولي وفيها اتجه سيد إلي العطاء الفكري الإسلامي. وإذا كانت ثورة يوليو أعدمت سيد قطب فإنها لم تعدم كتبه أو مقالاته ومؤلفاته وأفكاره القوية البناءة الأصيلة .. فمازالت حية بيننا من نور تضيء الطريق إلي الحيارى والمريدين .. يقول سيد : إن كلماتنا تظل عرائس من الشمع حتى إذا متنا في سبيلها دبت فيها الحياة (الروح) وكتبت لها الحياة .

ويقول سيد : " إن دعوة الإخوان المسلمين. دعوة مجردة من التعقب. وإن الذين يقاومونها هم المتعقبون أو هم الجهلاء الذين لا يعرفون ما يقولون " ويقول أيضاً : " الحقيقة الكبرى لحسن البنا هي البناء. وإحسان البناء. بل عبقرية البناء " . **وأخيراً ..** أقول : سيظل دم الشهيد سيد قطب ومن قبله حسن البنا وإخوانهم من بعدهم علي الدرب. ستظل دماؤهم لعنة علي من سفكوها من رجال الثورة .. تطاردهم حتى يثأر لهم القدر من الطغاة والظالمين والله مستجيب لدعاء المظلومين .

عن سيد قطب والإخوان والمحرقة :

سيظل سيد قطب (1906-1966) علماً من إعلام الفكر والعقيدة والإسلام علي مدار التاريخ الإنساني كله. وقد رصد قلمه لأداء الكلمة الحرة الصادقة مهما كانت مرارتها. وكان قوى العارضة. حاضر الذهن. واسع الثقافة. قديراً علي الأداء مؤمناً بأن الكلمة عبث وضياع إن لم تنتصر للقيم الإنسانية عقيدة. أو فكراً. أو أدباً .

استدراك .. :

تعرضنا فيما سبق لما قيل عن الأستاذ سيد قطب من اتهامات واعتراضات لبعض أفكاره التي ذكرها ورددها كثيراً في كتبه خاصة في ظلال القرآن ومعالم في الطريق مثل موضوعات الجاهلية. الحاكمية. والمفاصلة. وعرضنا ما ذكره المعترضون. مع الشرح والتعليق إذا كان يقتضي الأمر لذلك . وأما الأمر الذي كثر الحديث عنه من نقد وتعريض. بل وهجوم حتى من بعض فصائل رجال الدعوة والحركة الإسلامية هو اتهامه بالتكفير للأفراد أو الناس. وذكرنا كلام المعترضين مع التعقيب عليه عند الضرورة. وأخذ هذا الموضوع حيزاً أكبر من غيره من الموضوعات حتى تتضح الحقيقة. وتظهر الصورة لمن يريد الوصول لجوهر الموضوع ولب المشكلة. بعيداً عن التعصب والتحزب للموضوع أو للأشخاص . ونعرض هنا عن هذا الموضوع كلاماً لسيد قطب نفسه. خاصة ما ذكره في آخر كتبه. وما ذكره شقيقه نقلاً عنه. أو تعليقاً وتعقيباً عليه. وأخيراً فقرات من مقال للدكتور جعفر شيخ إدريس :-

(أ) " يقول الأستاذ محمد قطب في مقدمة كتاب " مقومات التصور الإسلامي " تعليقاً علي كلام شقيقه : " ... من هذه النصوص التي توسعنا في إثباتها يتبين بوضوح أنه يشترط لإطلاق حكم الكفر فيما يتعلق بقضية الحاكمية – إرادة التحاكم إلي الطاغوت . والرضي بغير حكم الله . وهذا هو الذي اتفق عليه علماء المسلمين في جميع الأمصار وجميع الأعصار . وبخاصة علماء السلف من هذه الأمة رضي الله عنهم وأرضاهم . أما الحكم علي هذا الجيل من الناس . هل هم مريدون للتحاكم إلي الطاغوت. رضوان بغير حكم الله. أم لا تتوافر فيه الإرادة والرضي .. فمسألة قد تختلف فيها وجهات النظر. ولكن العبرة ليست بهذا الاختلاف . وإنما العبرة بالقواعد الشرعية التي تبني عليها الأحكام " . ومن ه1ذا يتضح أن اتجاه سيد قطب. بل وشقيقه محمد هو رفض إطلاق الكفر. ولا تطلق إلا عند إرادة التحاكم إلي الطاغوت. والرضي بغير حكم الله. وبدون الإرادة والرضي لا يحكم علي الشخص. بل حتى عند توافر ذلك ليست هذه قضيته ولا اهتمامه. كما ورد عنه في غير الشخص. بل حتى عند توافر ذلك ليست هذه قضيته ولا اهتمامه. كما ورد عنه في غير الموضوع من هذا الكتاب .

(ب) ويقول الأستاذ محمد قطب كذلك في مقدمة كتابه : " مقومات التصور الإسلامي " للأستاذ سيد : " وحتى حين قيل إن الشقيق – في دعوته – يجافي أمر الله في استخدام " الحكمة والموعظة الحسنة في الدعوة "! وأمره تعالي باستخدام " القول اللين " .. ! .

وهكذا نري أن سيد قطب لم يقل بالتكفير وأن هذا الأمر كان شغله الشاغل واهتمامه. بل كان شاغله ودأبه الدعوة إلي الله بلطف ولين وإظهار الحق بحسم. لا إخفائه. ولا تشغله قضية الحكم علي الناس بالكفر. كما يؤكد ذلك شقيقه الأستاذ محمد. واقتفي أثره من بعده حتى أورد فصلاً لذلك في كتابه " واقعنا المعاصر " بعنوان " قضية الحكم علي الناس " .

(ج) تكلمنا فيما سبق عن رفض فكرة إطلاق حكم التكفير علي الناس. أو أحد الناس. وأن هذا الموضوع ليس شغل الدعاة ولا دأبهم وذكرت ما يتعلق بهذا الموضوع عن الأستاذ سيد .

ونود أن نذكر هنا كلمة تعقيب علي ذلك. وهي أنه رغم عدم الاهتمام والانشغال بهذا الموضوع سلباً أو إيجاباً. نقول ما وجه الغرابة إذا حكم شخص علي آخرين بالكفر. وكان عنده من الأدلة لذلك ومن العلم الشرعي والضوابط ما يؤكد ويدمغ ذلك الشخص بذلك . ألم يقل الله سبحانه : (قل يا أيها الكافرون) وحتى يكون الميزان متزناً. ننظر هل ما قاله شخص بتكفير غيره صحيحا أم لا. تكرار ذلك لهذا المبدأ وعدم أخذ مساحة كبيرة لذلك. بل الاهتمام بالدعوة وعرض الحق بالحكمة والموعظة الحسنة . ونعرض هنا كلاماً للأستاذ الدكتور جعفر شيخ إدريس – رئيس الجامعة الأمريكية المفتوحة – من مقال له منشور بعنوان " دين لا تكفير فيه ليس بدين ". يقول فضيلته : : " ... نحن مأمورون بأن ندعو بالحكمة والموعظة الحسنة. لكن الذي نحن مأمورون بالدعوة إليه هو سبيل ربنا. وهو أمر واضح المعالم. بين الحدود . فنحن نفهم السبيل إلي الدعوة بالتي هي أحسن. لكننا لا نفهم من الدعوة بالحكمة وبالتي هي أحسن أن نميع حقائق هذا الدين. أو نطمس معالمه. أو نزيل الحدود التي تميزه عن غيره فيكون شيئاً هلامياً لا يعرف أوله من آخره. ولا يعثر فيه علي ما يميزه عن غيره. فلا يمكن لذلك أن يحكم علي إنسان بأنه داخل أو خارج عنه. وما هكذا يكون الدين المنزل من عند الله. بل ما هكذا يكون أي مذهب : حقاً كان أم باطلاً .

لابد لكل مذهب من معالم تحدد هويته. وتميزه عن غيره. حتى يقال عن إنسان منتم إليه أو ليس منتم. وإنه مؤمن به أو كافر به . وإن المذهب الذي ليس فيه ما يميزه عن غيره ليس بمذهب. والإسلام دين منزل من عند الله مرتكز علي مجموعة من الحقائق. من آمن بها كان مسلماً. ومن أنكرها أو سخر منها أو استهزأ بها كان كافراً. فإمكانية الحكم علي إنسان بالكفر أمر لازم لهوية الدين . فالدين الذي لا إكفار فيه ليس بدين. لأنه لا هوية له إذا لم تكن للدين هوية ولم تكن له معالم فإلي أي شيء تكون الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة؟ .

نضيف أيضاً أنه علينا أن نبتعد عن تكفير المعين بأي حال. ولا بأس – في نظري – من التحدث بالكفر كقواعد عامة دون تعيين لأشخاص كالحكم علي المستهزئ بالدين. أو من يسب الرسول. أو يهين المصحف أو يسجد لصنم وما شابه ذلك. مع وضع الضوابط الشرعية وعدم الانشغال أو الاهتمام بهذا الموضع كما ذكرنا. والاهتمام بعرض الإسلام بصورته النقية الصافية : (قل هذه سبيلي أدعو إلي الله علي بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين)

وبعد

وبعد هذا الكلام الذي ذكرناه هنا من منصف محايد. ومعارض منتقد بأسلوب هادئ يتميز بأدب الحوار. وبين معارض مهاجم لا يتصف بأدب الحوار. بل قد يكون دافعه الهوى والتجريح. وهذا ولله الحمد شخص واحد ذكرناه هنا ومثله نفر قليل. وقام بهذه الحملة من عدة سنوات متأولاً كلام سيد قطب علي غير مقصده ومحمله. مثل كلامه علي وحدة الوجود .

ولقد ذكرنا بعد ذلك كلام المؤمنين والمناصرين وهم كثير ولله الحمد. اخترنا منهم عدة أشخاص في الطرفين .

هذا ولعلنا قد أدينا بعض المقصود. وبيان الحقيقة الغائبة أو الغامضة. وحتى تكون صورة سيد قطب ناصعة. وكتبه نبراسًا لمن يريد أن يهتدي بها وينهل من معينها الصافي. ولعل الله سبحانه يلحقنا وإياه في جنات النعيم مع النبيين والصديقين والشهداء الصالحين وحسن أولئك رفيقا. اللهم آمين .

شهادات إنصاف وتقدير

هذا الرجل :-

" الذين يعرفون الشهيد سيد قطب. ودماثة خلقه. وجم أدبه. وتواضعه. ورقة مشاعره. يعرفون أنه لا يُكفر أحداً. إنه داعية إسلامي. من عيون دعاة المسلمين ! ظلمه من أخذ كلامه علي غير مقاصده. ومن هاجموه متجنين. لما رأوا من عميق تأثير كلماته وكتاباته علي الشباب الطاهر النظيف ....."

الأستاذ / عمر التلمساني -المرشد العام الثالث للإخوان المسلمين – رحمه الله

" إن كتاب معالم في الطريق قد حصر أملي كله في سيد قطب ! فقد قرأته وأعدت قراءاته ! وإن سيد قطب هو الأمل المرتجي للدعوة الآن. إن شاء الله !"

الأستاذ / حسن الهضيبي - المرشد العام الثاني للإخوان المسلمين

" إنني متأكد كاملاً إن شاء الله أنه ليس في كتابات سيد قطب ما يخالف الكتاب والسنة. اللذين قامت عليهما دعوة الإخوان المسلمين. وتأكدي الكامل من أنه ليس في هذه الكتابات ما يخالف أفكار وأقوال الشهيد حسن البنا ن مؤسس هذه الجماعة .." .

الأستاذ / محمد قطب ..

" كان سيد قطب رحمه الله رحيماً. لا يغضب إلا للحق . وما رأيته مرة واحدة غاضباً. عف اللسان حتى عند ذكر أعداء الله. لطيف المجلس. حلو المعشر. لا تفارقه الابتسامة الوقور. ذو دعابة مؤدبة. رقيق المشاعر. مرهف الحس ... إذا سألت أو ناقشت يستمع إليك. حتى تنتهي من كلامك تماماً. ولا يقاطعك. ولا يعرض برأيك ولو خالفته الرأي. ولا يرفع صوته حتى ولو رفعت صوتك. ولا ينفعل حتى لو انفعلت ...." . **الأستاذ / أحمد عبد المجيد - من قادة التنظيم الإخواني الجديد عام 1965**

" كتاب التصوير الفني في القرآن فتح والله جديد. وسيد قطب وقع علي كنز من كنوز القرآن. كأن الله ادخره له فلم يعط مفتاحه لأحد قبله. حتى جاء هو ففتحه ..." . **الأستاذ / علي الطنطاوي – رحمه الله**

" .... لقد برهن سيد قطب بمواقفه في عهد الطغيان علي أنه يحسن القول في تأييد الحق يوم يتجهم وجه الباطل القوي للحق. إذا انصرف عنه جنوده. وهناك كثيرون من حملة الأقلام يحسنون تأييد الحق إذا كانت له سوق يروج فيها. أو دولة تخطب ود مؤيديه ولو إلي حين. وهم علي استعداد لأن يقولوا غير ذلك أيضاً ...." . **الأستاذ / محب الدين الخطيب**

" لقد تعاملت مع سيد قطب فرأيته متواضعاً. لم يتطلع إلي شيء من المناصب أو الألقاب ..." . **الأستاذ / علال الفاسي**

" ... قابلت سيد قطب في السجن بعد محاكمته والحكم عليه بالإعدام. فقلت. له : ماذا تنتظر يا أستاذ سيد ؟ فقال : انتظر القدوم علي ربي !! " . **الأستاذ / أحمد رائف**

" ... المدير الفعلي للسجن هو سيد قطب وليس أنا ! لأنه موضع احترام السجانين والمسجونين جميعا ..." .

المدير الرسمي لسجن طره

" أعترف أنني أحب سيد قطب محبة عظيمة. كما يحبه العديد من المسلمين الصالحين في مختلف بقاع العالم. أحبه في الله. لما وقفت عليه من مواقف إيمانية في سيرته وحياته الإسلامية. ولما وقفت عليه من إضافات ثمينة أضافها إلي العلم والفكر والمعرفة والثقافة. في التفسير والعقيدة والدعوة والجهاد ... أُحبه محبة عظيمة في الله. وأتقرب بذلك إلي الله. وأرجوا الله أن يجمعني به يوم القيامة هو وإخوانه الذين أنعم الله عليهم من العلماء الأعلام الربانيين .

وروي البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : جاء رجل إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال. يا رسول الله : كيف تقول في رجل أحب قوماً ولو يلحق بهم ؟ فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم : " المرء مع من أحب " . وروي ابن جرير الطبري عن أنس ابن مالك رضي الله عنه. قال : سئل رسول الله صلي الله عليه وسلم عن الرجل يحب قوماً ولم يلحق بهم ؟ فقال صلي الله عليه وسلم : المرء مع من أحب " ! .

وأثارت مقالات أبي عزة في مجلة الشهاب اللبنانية ردود فعل عديدة حادة عنيفة قاسية. وانقسم المتجادلون من الإسلاميين علي صفحات المجلة إلي فريقين :

فريق منصف لسيد قطب وفكره. بين وجه الحق في المسائل الفكرية والفقهية والدعوية المثارة. وحقيقة رأي سيد قطب الموضوعي فيها .

وفريق متحامل علي سيد قطب وفكره وفقهه الدعوي. كالَ لسيد قطب الاتهامات جزافاً. وأساء فهم واستيعاب وتأويل كلامه ! واستاء كثير من الإسلاميين من هذه المعركة. ومن تحامل بعض الدعاة علي سيد قطب. واتهامهم له بالباطل. ولما يمض علي استشهاده

سبع سنوات ! واطلع الأستاذ محمد قطب علي بعض هذا الصخب. وكان حديث عهد في الخروج من السجن. لأنه أفرج عنه عام 1972 وبعد توقيف زاد عن سبع سنوات .

د./ صلاح الخالدى

رسالة محمد قطب إلي كمال السنانيري :

كتب الأستاذ محمد قطب رسالة إلي الأستاذ الشهيد كمال السنانيري – أحد قادة الإخوان المسلمين في مصر – وهو زوج المجاهدة أمينة قطب. وقد استشهد بعد ذلك في سجن السادات ! وقد وضح في رسالته وجه الحق في كثير من القضايا المثارة . ونشرت مجلة الشهاب اللبنانية رسالة الأستاذ محمد قطب إلي السنانيري : وفيما يلي نص الرسالة : " أخي ...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فإنك تعلم يا أخي ما دار من لغط في محيط الإخوان. حول كتابات الشهيد سيد قطب. وما قيل من كونها مخالفة لفكر الإخوان. أو جديد عليه . وأحب في هذا المجال أن أثبت مجموعة من الحقائق أحس بأنني مطالب أمام الله بتوضيحها. حتى لا يكون في الأمر شبهة .. إن كتابات سيد قطب قد تركزت حول موضوع معين. هو : بيان المعني الحقيقي للا إله إلا الله. شعوراً منه بأن كثيراً من الناس لا يدركون هذا المعني علي حقيقته. وبيان المواصفات الحقيقية للإيمان. كما وردت في الكتاب والسنة. شعوراً منه بأن كثيرا من هذه المواصفات قد أُهمل. أو غفل الناس عنه ! ولكنه مع ذلك حرص حرصاً شديداً علي أن يبين أن كلامه هذا ليس مقصودا إصدار أحكام علي الناس. وإنما المقصود به تعريفهم بما غفلوا عنه من هذه الحقيقة. ليتبنوا هم لأنفسهم : إن كانوا مستقيمين علي طريق الله كما ينبغي. أم أنهم بعيدون عن هذه الطريق. فينبغي إليهم أن يعودوا إليه ....

ولقد سمعته بنفسي أكثر من مرة يقول : " نحن دعاة ولسنا قضاة " إن مهمتنا ليست إصدار الأحكام علي الناس. ولكن مهمتنا تعريفهم بحقيقة " لا غله إلا الله " لأن الناس لا يعرفون مقتضاها الحقيقي. وهو التحاكم إلي شريعة الله ! كما سمعته أكثر من مرة يقول : إن الحكم علي الناس يستلزم وجود قرينة قاطعة لا تقبل الشك ! وهذا أمر ليس في أيدينا. ولذلك نحن لا نتعرض لقضية الحكم علي الناس. فضلا عن كوننا دعوة ولسنا دولة. دعوة مهمتنا بيان الحقائق للناس. لا إصدار الأحكام عليهم ....

أما بالنسبة لقضية المفاصلة. فقد بين في كلامه أنها المفاصلة الشعورية. التي لابد أن تنشأ تلقائياً في حس المسلم الملتزم. تجاه من لا يلتزمون بأوامر الإسلام. ولكنها ليست المفاصلة الحسية المادية. فنحن نعيش في هذا المجتمع. وندعوه إلي حقيقة الإسلام. ولا نعتزله ! وإلا فكيف ندعوه ؟ .

تعقيب محمد قطب علي أفكار شقيقه الشهيد .. :

تلك خلاصة كتابات سيد قطب .. ولي علي هذه الخلاصة تعقيبان :

الأول : هو تأكدي الكامل – بإذن الله – من أنه ليس في هذه الكتابات ما يخالف الكتاب والسنة. الذين تقوم عليهم دعوة الإخوان المسلمين .

الثاني : هو تأكدي الكامل – أيضاً – من أنه ليس في هذه الكتابات ما يخالف أفكار الشهيد حسن البنا مؤسس هذه الجماعة. ولا يخالف أقواله ....

وهو الذي قال في رسالة " التعاليم" – في البند العشرين – علي أن المسلم الذي لا يجوز تكفيره هو : الذي نطق بالشهادتين. وعمل بمقتضاها. وأدي الفرائض .. وذلك فضلاً عن كون كتابات سيد قطب – كما أسلفت – لم يقصد بها إصدار الأحكام علي الناس. وإنما كان قصده منها – كما قصد الإمام الشهيد بالضبط – وهو بيان حقيقة الإسلام. ومواصفات المسلم. كما وردت في كتاب الله وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم .

تلك حقائق. أري أن من واجبي أن أُبينها وأُوضحها. أداء للشهادة لله. فإننا لا ندري متى نلقي الله ... ولا ينبغي لنا أن نلقاه وقد كتمنا شهادة لله ! والله الموفق إلي سواء السبيل ..." .

شهادة عمر التلمساني : المرشد العام للإخوان المسلمين :

الأستاذ عمر عبد الفتاح التلمساني هو المرشد العام الثالث لجماعة الإخوان المسلمين. وقدم شهادة لسيد قطب وفكره. ثمينة قيمة. وقيمة هذه الشهادة أنها صادرة من مرشد عام الإخوان وقائدهم. وصاحب المرجعية القيادية الأولي فيهم. ونقدم هذه الشهادة للذين يستمرون في الطعن في سيد قطب وفكره. وهم من الإخوان المسلمين الملتزمين بتنظيم الجماعة ! ونقول لهم : ألا تكفيكم شهادة المرشد العام للجماعة ؟

قال التلمساني رحمه الله في كتابه " ذكريات لا مذكرات " عن فكر سيد قطب :

" أذكر أن الشهيد سيد قطب له مؤلفات عدة وجيدة. علي مستوي رفيع. منها : في ظلال القرآن. والعدالة الاجتماعية في الإسلام. ومعالم في الطريق . وتمتاز هذه المؤلفات بالنقمة علي الظلم في كل مظاهره. والحرص علي رفع المعاناة عن كل الطبقات، وأن تسود مصر الحرية. التي ليس لها حدود إلا فيما أحل الله وحرم. وما تواضعت عليه الأمم الراقية ذات الحريات الواسعة ..." .

هذه هي المبادئ والمتطلبات التي تسود مؤلفاته. والتي تسعي إلي تحقيقها طوال حياته. مع إيمانه الكامل بأن ذلك لن يكون إلا إذ طبقت الحكومات شرع الله . فهو لا يري في غيره إصلاحاً ولا نجاحاً. أي في شرع الله .

ثناء التلمساني علي سيد قطب وكتبه :

فليس إذن في " معالم الطريق " جديد في فكر سيد قطب. ولكن بما أن " معالم الطريق " كتبه الشهيد في السجن. بعد أن ذاق ألوان العذاب علي مختلف قسوتها ووحشيتها. فقد بدت نقمته علي مخالفة الشرع أوضح وأظهر .. وما أراد الشهيد الأستاذ سيد قطب في يوم من

الأيام أن يكفر مسلماً. لأن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال في أكثر من حديث : " إن من قال لا إله إلا الله. مؤمنا بها قلبه. لن يخلد في النار .. ولن يخلد في النار إلا الكافرون. وهم الذين ينكرون وحدانية الواحد القهار !

هذه واحدة والثانية : أن كثرة ترداده لكلمة " المجتمع الجاهلي " لم يقصد بها تكفير المجتمع. ولكن تشديد النكير علي الظلمة والطغاة والمستغلين والمشككين ! وهو أسلوب تعرفه اللغة العربية. ففي العذاب – ترهيب وتخويف – يقول الله : " فبشره بعذاب أليم " والبشري لا تساق " إلا في مجال الخير والنعيم. وفي كثير من أحاديث رسول الله صلي الله عليه وسلم : " ليس منا من فعل كذا " . لو قال كذا" ولم يقصد بذلك التكفير. ولكن أن ذلك من سنتنا أو عملنا. والقصد تقليل الدرجات !!

والذين يعرفون الشهيد سيد قطب ودمثة خلقه. وجم أدبه وتواضعه. ورقة مشاعره. ويعرفون أنه لا يكفر أحداً ! إنه داعية إسلامي. من عيون دعاة المسلمين ! ظلمه من أخذ كلامه علي غير مقاصده. ومن هاجموه متجنين لما رأوا من عميق تأثير كلماته وكتاباته علي الشباب الطاهر النظيف !

هذا موجز مقتضب للمبادئ التي قام عليها كتاب " معالم في الطريق " .. وقد كان لي شرف الإطلاع عليه قبل طبعه. ونحن في مستشفي " ليمان طره " . ولا يسع المجال لأكثر من ذلك. في موضوع يحتاج إلي مؤلفات ! لقد تحدثت عن الشهيد " سيد قطب " بما فيه الكفاية ... وأضيف أنه لما أُفرج عنه أول الأمر أرسل إلي وأنا في السجن. يخبرني أن الجمهورية العراقية طلبته ليعمل في مجالات التعليم والتربية هناك ! واستشارني في الرفض أو القبول ! وكان رأيي أن يقبل. لتخوفي مما كنت أتوقعه بالنسبة له من رجال الانقلاب .. ولكنه أثر البقاء في مصر. ليدافع عن رأيه .. وهو قدر الله. الذي لا ينفع معه احتياط ولا حذر .. " .

شهادة الدكتور بكر أبو زيد " عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية " :

كتب " ربيع بن هادي عمير المدخلي " – عضو هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية في المدينة – أكثر من كتاب في الطعن في سيد قطب وفكره . ومن أشهر كتبه في ذلك كتابان :

الأول : " أضواء إسلامية علي عقيدة سيد قطب وفكره " .

الثاني : " مطاعن سيد قطب في أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم " . وأصدر الكتابين عام 1414هـ - 1993م . ونشرتها " مكتبة الغرباء الأثرية " في المدينة .

وقد أساء ربيع بن هادي المدخلي القول في سيد قطب وفكره. وكان كلامه " متجنيا متحاملا " عليه. وقد توفرت فيه الأخطاء التي سجلناها سابقاً. في تعامل بعضهم مع بعض مع سيد قطب وفكره .. يبدو ذلك من بعض العناوين الصارخة المثيرة في كتاب " أضواء إسلامية علي عقيدة سيد قطب وفكره " منها : شذوذ سيد قطب في تفسير " لا إله إلا الله " عن أهل العلم . عدم وضوح الربوبية والإلوهية عند سيد وفي ذهنه . سيد وتكفير المجتمعات الإسلامية. قول سيد بخلق القرآن وأن كلام الله عبارة عن الإرادة . قول سيد بعقيدة وحدة الوجود والحلول والجبر . غلو سيد في تعطيل صفات الله كما هو شأن الجهمية. إنكار للميزان علي طريقة المعتزلة والجهمية . اعتقاد سيد أن الروح أزلية منفصلة عن ذات الله . سيد يجوز للبشر أن يشرعوا قوانين لتحقيق حياة إسلامية صحيحة . إيمان سيد قطب بالاشتراكية المادية الغالية ...

وإذا كانت هذه العناوين بهذه الحدة والتحامل. فكيف يكون تحامل وتجني كاتبها في المضمون ؟ ولا يعنينا هنا تفنيد اتهامات " ربيع بن هادي " لسيد قطب وفكره. وبيان تحامله عليه. وإنما يعنينا تسجيل شهادة منصفة للدكتور بكر أبو زيد .

بكر أبو زيد يرفض تجني ربيع بن هادي علي سيد قطب :

لما أنهي ربيع بن هادي المدخلي كتابه " أضواء إسلامية علي عقيدة سيد قطب وفكره " وقبل أن يدفعه للطبع أرسله إلي الأستاذ " بكر بن عبد الله أبو زيد " ليقرأه. وينظر في الملاحظات التي قد تسجل عليه ! وقرأ بكر أبو زيد كتاب ربيع بن هادي. وساءه اتهامات المدخلي لسيد قطب. ورأي أن كتابه لا يصلح للبشر .

وأرسل إلي ربيع المدخلي رسالة قيمة. سجل فيها نصحه له. وأبرز له فيها أخطاءه التي وقع فيها. وأثبت فيها شهادة إنصاف لسيد قطب قيمة. لأنها صادرة عن رجل عالم. من كبار علماء " الاتجاه السلفي " لها منزلة عالية عند هؤلاء في داخل السعودية وخارجها. وله منزلة عالية عند المسلمين المعاصرين .

نص رسالة بكر أبي زيد لربيع بن هادي :

ونثبت في ما يلي الرسالة الناصحة التي أرسلها الدكتور بكر أبو زيد لربيع المدخلي :

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الأخ الشيخ : ربيع بن هادي مدخلي الموقر .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...وبعد ...

فأشير إلي رغبتكم قراءة الكتاب المرفق : " أضواء إسلامية علي عقيدة سيد قطب وفكره " . هل من ملاحظات عليه ؟ ثم هذه الملاحظات هل تقضي علي المشروع. فيطوي ولا يروي ؟ أم هي مما يمكن تعديلها. فيترشح الكتاب بعد للطبع والنشر ؟ ويكون ذخيرة لكم في الآخرة. بصيرة لمن شاء من عباده في الدنيا ! .

ملاحظات بكر أبو زيد علي كتاب ربيع بن هادي :

لهذا أبدي ما يلي :

1 – نظرت في أول صفحة منه " فهرس الموضوعات " فوجدتها عناوين قد جمعت في سيد قطب – رحمه الله تعالي – أصول الكفر. والإلحاد والزندقة : القول بوحدة الوجود. القول بخلق القرآن. يجوز لغير الله أن يُشرع. غلوه في تعطيل صفات الله تعالي. ولا يقبل الأحاديث المتواترة. يشكك في أمور العقيدة التي يجب الجزم بها. يُكفر المجتمعات .. إلي آخر العناوين. التي تقشعر منها جلود المؤمنين !! . وأسفت علي أحوال علماء المسلمين في الأقطار. الذين لم ينبهوا علي هذه الموبقات ! وكيف بين هذا وبين انتشار كتبه في الآفاق

انتشار الشمس وعامتهم يستفيدون منها. حتى أنت في بعض ما كتبت ! عند هذا أخذت بالمطابقة بين العنوان والموضوع. فوجدت الخبر يكذبه الخبر ... ونهايتها بالجملة عناوين استفزازية. تجذب القارئ العادي إلي الوقيعة في سيد رحمه الله تعالي .

وأما القارئ الذي عنده قدر يسير من البصيرة. فإنه إذا قرأ الموضوع داخل الكتاب. سيجد عنده ردة فعل قوية نحو ما كتبت. وعودة الحنين إلي كتب سيد – رحمه الله تعالي – وإني أكره لي ولكم ولكل مسلم. مواطن الإثم والنجاح ..وإن من الغبن الفاحش إهداء الإنسان حسناته إلي من يعتقد بغضه وعداوته ! .

2 – نظرت. فوجدت هذا الكتاب يفتقد " أصول البحث العلمي " : الحيدة العلمية. منهج النقد. أمانة النقل والعلم. عدم هضم الحق! .

كتاب ربيع بن هادي يفتقد أدب الحوار وأمانة النقل :

أما أدب الحوار. وسمو الأسلوب. ورصانة العرض. فلا تمت إلي الكتاب بهاجس !! وإليك التدليل .

أولاً : رأيت الاعتماد في النقل من كتب سيد – رحمه الله تعالي – من طبعات سابقة مثل " الظلال "و"العدالة الاجتماعية " . مع معلمكم أن لهم طبعات معدلة لاحقة ! والواجب حسب أصول النقد والأمانة العلمية تسليط النقد – إذا كان – علي النص من الطبعة الأخيرة لكل كتاب. لأن ما فيها من تعديل ينسخُ ما في سابقتها !وهذا غير خافٍ – إنشاء الله تعالي – علي معلوماتكم الأولية . لكل لعلها غلطة طالب. حضر لكم المعلومات. ولما يعرف هذا. غير خافٍ أيضاً ما لهذا من نظائر لدي أهل العلم ! فمثلاً كتاب " الروح " لابن القيم – رحمه الله تعالي – لما رأي بعضهم فيه ما رأي. قال : لعله في أول حياته !.. وهكذا في مواطن لغيره .. وكتاب " العدالة الاجتماعية " هو أول ما ألفه في الإسلاميات والله المستعان ! .

ثانياً : لقد اقشعر جلدي حينما قرأت في فهرس هذا الكتاب قولكم : " سيد قطب يجوز لغير الله أن يشرع" !! فهرعت إليها قبل كل شيء. فرأيت الكلام بمجموعة نقلاً واحداً لسطور معدودة من كتاب " العدالة الاجتماعية " وكلامه لا يفيد هذا العنوان الاستفزازي !! .

ولنفرض أن به عبارة موهمة أو مطلقة فكيف نحولها إلي مؤاخذة مكفرة ؟ تنسف ما بني عليه سيد – رحمه الله تعالي – حياته. ووظف له قلمه. من الدعوة إلي توحيد الله تعالي في " الحكم والتشريع " ورفض سن القوانين الوضعية. والوقوف في وجود الفعلة لذلك !! إن الله يحب العدل والإنصاف في كل شيء. ولا أراك – إن شاء الله تعالي – إلا في أوبة العدل والإنصاف !! .

ثالثاً : ومن العناوين الاستفزازية قولكم : " قول سيد قطب بوحدة الوجود " إن سيداً – رحمه الله تعالي – قال كلاماً متشابهاً. حلق فيه بالأسلوب. في تفسير سورتي الحديد والإخلاص. وقد اعتمد عليه بنسبة القول بوحدة إليه ! وأحسنتم حينما نقلتم قوله في تفسير سورة البقرة، من رده الواضح الصريح لفكرة وحدة الوجود. ومنه قوله : " ومن هنا تنتفي من التكفير الإسلامي الصحيح فكرة وحدة الوجود " .

لهذا فنحن نقول : غفر الله لسيد كلامه المتشابه. الذي جنح فيه بأسلوب. وسع فيه العبارة والمتشابه لا يقاوم النص الصريح القاطع من كلامه ! . لهذا أرجو المبادرة إلي شطب هذا التكفير الضمني لسيد – رحمه الله تعالي – وإني مشفق عليكم ..! .

رابعاً : وهنا أقول لجنابكم الكريم بكل وضوح : إنك تحت هذه العناوين " مخالفته في فسير لا إله إلا الله للعلماء وأهل اللغة " و" عدم وضوح الربوبية والإلوهية عن سيد " .. أقول : أيها المحب الحبيب – لقد نسفت بلا تثبت. جميع ما قرره سيد – رحمه الله عالي – من معالم التوحيد ومقتضياته ولوازمه التي تحتل السمة البارزة في حياته الطويلة ! فجميع ما ذكرتم يلغيه واحدة. وهي : إن توحيد الله في الحكم والتشريع من مقتضيات كلمة التوحيد ! وسيد – رحمه الله تعالي – ركز علي هذا كثيراً. لما رأي من هذه الجرأة الفاجرة علي إلغاء شرع الله من القضاء وغيرهُ وإحلال القوانين الوضعية بدلاً عنها. ولاشك أن هذه جرأة عظيمة. ما عهدتها الأمة الإسلامية في مشوارها الطويل. قبل عام 1432هـ .

خامساً : ومن عناوين الفهرس : " قول سيد بخلق القرآن. وأن كلام الله عبارة عن الإرادة " ! . ولما رجعت إلي الصفحات المذكورة. لم أجد حرفاً واحداً. يصرح فيه سيد – رحمه الله تعالي – بهذا اللفظ : القرآن مخلوق ! كيف يكون هذا الاستسهال للرمي بهذه المكفرات ؟ إن نهاية ما رأيت له تمدد في الأسلوب. كقوله : " ولكنهم لا يملكون أن يؤلفوا منها – أي الحروف المقطعة – مثل هذا الكتاب. لأنه من صنع الله. لا من صنع الناس "! وهي عبارة لاشك في خطئها ! لكن : هل نحكم من خلالها أن سيد يقول بهذه المقولة الكفرية " خلق القرآن " ؟ اللهم إني لا أستطيع تحمل عهدة ذلك !! .

ولقد ذكرني قوله بقول نحوه. للشيخ " محمد بن عبد الله عظيمة " – رحمه الله تعالي – في مقدمة كتابه : دراسات في أسلوب القرآن الكريم. الذي طبعته – مشكورة – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ! فهل نرمي الجميع بالقول بخلق القرآن ؟ اللهم لا !! وأكتفي بهذه من الناحية الموضوعية – وهي المهمة .

ست ملاحظات أخري لبكر أبو زيد علي كتاب ربيع بن هادي وهي :

1 – مسودة هذا الكتاب تقع في (161) صفحة بقلم اليد وهي بخطوط مختلفة ! ولا أعرف منه صفحة واحدة بقلمكم حسب المعتاد !! إلا أن يكون اختلف خطكم. أو اختلط علي !!أم أنه عُهد بكتب سيد قطب – رحمه الله تعالي – لعدد من الطلاب. فاستخرج كل طالب ما بدا له. تحت إشرافكم أو بإملائكم ؟؟؟ لهذا فلا أتحقق من نسبته إليكم. إلا أن ما كتبته علي طرته أنه من تأليفكم !وهذا عندي كافٍ في التوثيق بالنسبة لشخصكم الكريم !! .

2 – مع اختلاط الخطوط. إلا أن الكتاب من أوله إلي آخره يجري علي وتيرة واحدة. وهي : أنه بنفس متوترة. وتهيج مستمر. ووثبة تضغط علي النص. حتى يتولد منه أخطاء الكبار. وتجعل محل الاحتمال ومشتبه الكلام محل قطع. لا يقبل الجدال ... وهذا نكث لمنهج النقد : الحيدة العلمية !! .

3 – من حيث الصياغة : إن قارنا بينه وبين أسلوب سيد – رحمه الله تعالي – فهو في نزول. وسيد قد سما ! وإن اعتبرناه من جانبكم الكريم. فهو أسلوب " إعدادي " لا يناسب إبرازه من طالب علمٍ حاز العالمية العالية .. لابد من تكافؤ القدرات في الذوق الأدبي. والقدرة علي البلاغة والبيان. وحسن العرض .. وإلا فليُكسر القلم !! .

4 – لقد طغي أسلوب التهيج والفزع. العلمي للنقد ! ولهذا افتقد الرد أدب الحوار !! .
5 – في الكتاب من أوله إلي آخره تهجم. وضيق عطن. وتشنج في العبارات. فلماذا هذا ؟ .
6 – هذا الكتاب ينشط الحزبية الجديدة، التي أنشأت في نفوس الشبيبة جنوح الفكر. بالتحريم تارة. وأن هذا بدعة. أو ذلك مبتدع. وهذا ضلال. وذاك ضال .. ولا بينة كافية للإثبات !! .

وولدت غرور التدين والاستعلاء ! حتى كأنما الواحد عند فعلته هذه يُلقي حملاً عن ظهره. قد استراح من عناء حمله. وأنه يأخذ بحجز الأمة عن الهاوية. وأنه في اعتبار الآخرين قد حلق في الورع والغيرة علي حرمات الشرع المطهر !! وهذا من غير تحقيق. هو في الحقيقة هدم وإن اعتبرناه بناء علي الشرفات فهو إلي التساقط ثم التبرَّد في أدراج الرياح العاتية !

هذه سمات ست. تمتع بها هذا الكتاب. فكان غير ممتع !! هذا ما بدا لي. حسب رغبتكم ... .

ثناء بكر أبو زيد علي سيد قطب :

وأعتذر من تأخر الجواب. لأنني من ليس لي عناية بقراءة كتب هذا الرجل. وإن تداولها الناس !!

لكن هول ما ذكرتم. دفعني إلي قراءات متعددة في عامة كتبه. فوجدت في كتبه خيراً كثيراً وإيماناً مشرقاً. وحقاً أبلجاً. وتشريحاً فاضحاً لمخططات العداء للإسلام ! علي عثرات في سياقاته. واسترسال بعباراته ! ليته لم يفه بها ! وكثير منها ينقضها قوله الحق في مكان آخر ! والكمال عزيز !! والرجل كان أديباً نقادة. ثم اتجه إلي خدمة الإسلام من خلال القرآن العظيم. والسنة المشرفة. وسخر قلمه ووقته ودمه في سبيلها. فشرق بها طغاة عصره !!

وأصر علي موقفه في سبيل الله تعالي. وكشف عن سالفته ... وطلب منه أن يسطر بقلمه كلمات اعتذار ! وقال كلمته الإيمانية المشهورة : إن أصبعاً أرفعه للشهادة. لن أكتب كلمة تضارها أو كلمة نحو ذلك ! . فالواجب علي الجميع الدعاء له بالمغفرة ! والاستفادة من علمه ! وبيان ما تحققنا خطأه فيه ! وإن خطأه لا يوجب حرماتنا من علمه. ولا هجر كتبه ! واعتبر – رعاك الله – حال بحال أسلاف مضوا. أمثال أبي إسماعيل الهروى والجيلاني. كيف دافع عنهما شيخ الإسلام ابن تيميه – رحمه الله تعالي – ما لديها من الطوام ! لأن الأصل في مسلكهما نصرة الإسلام والسنة ..

وانظر " منازل السائرين " للهروى – رحمه الله تعالي – تري عجائب لا يمكن قبولها ! ومع ذلك فابن القيم – رحمه الله تعالي – يعتذر عنه أشد الاعتذار. ولا يجرمه فيها. وذلك في شرحه " مدارج السالكين " ! وقد بسطت في كتاب " تصنيف الناس بين الظن واليقين " ما تيسر لي من قواعد ضابطة في ذلك !

حكم بكر أبو زيد علي كتاب ربيع بن هادي :

وفي الختام : فإني أنصح فضيلة الأخ في الله. بالعدول عن طبع هذا الكتاب " أضواء إسلامية ..." وإنه لا يجوز نشره. ولا طبعه. لما فيه من التحامل الشديد. والتدريب القوى لشباب الأمة علي الوقيعة في العلماء وتشذيبهم. والحط من أقدارهم. والانصراف عن فضائلهم !! وامح لي – بارك الله فيك – إن كنت قسوت في العبارة. فإنه بسبب ما رأيته من تحاملكم الشديد. وشفقتي عليكم. ورغبتكم الملحة بمعرفة ما لدي نحوه. جري القلم بما تقدم !!

سدد الله خطي الجميع

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم

بكر بن عبد الله أبو زيد1414/1/20هـ

شهادة الدكتور عبد الله عزام – رحمه الله :-

" والحق أنني ما تأثرت بكاتب كتب في الفكر الإسلامي أكثر مما تأثرت بسيد قطب. وإني لأشعر بفضل الله العظيم علي أن شرح صدري وفتح قلبي لدراسة كتب سيد قطب. فقد وجهني سيد قطب فكرياً وابن تيمية عقدياً وابن القيم روحيًا والنووي فقهياً فهؤلاء أكثر أربعة أثروا في حياتي أثراً عميقاً .

لقد كان لاستشهاد سيد قطب أثر في إيقاظ العالم الإسلامي أكثر من حياته. ففي السنة التي استشهد فيها يطبع الظلال سبع طبعات بينما لم تتم الطبعة الثانية أثناء حياته .. ولقد مضي سيد قطب إلي ربه رافع الرأس ناصح الجبين عالي الهامة. وترك التراث الضخم من الفكر الإسلامي الذي تتوارثه الأجيال. بعد أن وضح معان غابت عن الأذهان طويلاً. وضع معاني ومصطلحات الطاغوت. الجاهلية. الحاكمية. العبودية. والإلوهية. ووضح بوقفته المشرفة معاني البراء والولاء. والتوحيد والتوكل علي الله والخشية منه والالتجاء إليه " .

فتوى سماحة الشيخ عبد الله بن جبريل عن حسن البنا وسيد قطب – رحمهما الله تعالي :

بعض الشباب يبدعون الشيخ سيد قطب وينهون عن قراءة كتبه ويقولون أيضاً نفس عن حسن البنا ويقولون عن بعض العلماء أنهم خوارج وحجتهم تبين الأخطاء للناس. وهم طلبة حتى الآن . أرجو الإجابة حتى إزالة الريب لنا ولغيرنا حتى لا يعم هذا الشيء .

الجواب : الحمد لله وحده ... وبعد ..

لا يجوز التبديع والتفسيق للمسلمين لقول النبي صلي الله عليه وسلم : " من قال لأخيه يا عدو الله وليس كذلك حار عليه ". وفي الحديث : " أن من كفر مسلماً فقد باء بها أحدهما. وفي الحديث : " أن رجلا مر برجل وهو يعمل ذنباً فقال والله لا يغفر الله لك. فقال من ذا الذي يتأني عليَّ أني لا أغفر لفلان. إني غفرت له وأحبطت عملك " .

ثم أقول إن سيد قطب وحسن البنا من علماء المسلمين ومن أهل الدعوة وقد نفع الله بهما وهدي بدعوتهما خلقاً كثيراً ولهما جهود لا تنكر ولأجل ذلك شفع الشيخ عبد العزيز بن باز في سيد قطب عندما قرر عليه القتل وتلطف في الشفاعة فلم يقبل شفاعته الرئيس جمال – عليه من الله ما يستحق – ولما قتل كل منهما (يقصد : سيد قطب وحسن البنا) أطلق علي كل واحد أنه شهيد لأنه قتل ظلماً.

وشهد بذلك الخاص والعام ونشر ذلك في الصحف والكتب بدون إنكار ثم تلقي العلماء كتبهما. ونفع الله بهما ولم يطعن أحد فيهما منذ أكثر من عشرين عامًا .

شهادة العالم الجليل الأستاذ أبو الحسن الندوى :

هذه الشهادة لها وزنها وثقلها لأنها صادره من عالم الهند الشهير. ومؤلف الكتاب الرائع ":" ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" حيث قال عندما سمع خبر إعدام سيد قطب : " إن هذه الشهادة ليست شهادة الأفراد. وإنها ليست هدراً للدماء وعبثاً بالحقوق البشرية والكرامة الإنسانية فحسب. وإنها ليست همجية وعداء سافراً للإسلام فحسب. بل إنها خسارة فادحه للدعوة الإسلامية والعلم والأدب. والدراسة والبحث والأدب والنقد. ومأساة علمية ضخمة. إن سيد قطب من أولئك الأفذاذ الذين يسعد بهم العالم الإسلامي. وهو في الطراز الأول من صفوة الدعاة ورجال الفكر والأدب الذين تحظي بهم الأمم بعد فترات طويلة .

وأخيرًا ... شهادة الأستاذ محمد مهدي عاكف – المرشد العام للإخوان المسلمين :

في حوار مع مجلة المختار الإسلامي. قال فضيلته : الشهيد سيد قطب عليه رحمة الله لم يكفر مسلمًا. فقد كان مفكراً وعالمًا وأديبًا. وهؤلاء الذين يتحاملون علي الشهيد لم يعرفوا مقصده مما قال. ولا الظروف التي قيل فيها هذا الكلام .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والصلام على أشرف المرسلين
والله أكبر ولله الحمد